جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

مناقشة ابن جني (٣٩٢هـ) لاعتراضات ابن مجاهد (٣٢٤هـ) على بعض الروايات في المحتسب

الدكتور

أحمد إبراهيم محمد علي

أستاذ أصول اللغة المساعد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بنات بني سويف ــ شعبة اللغة العربية ــ جامعة الأزهر

العدد الثالث والعشرون
للعام ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م
الجزء الثاني

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ملخص البحث

مناقشة ابن جني (٣٩٢هـ) لاعتراضات ابن مجاهد (٣٢٤هـ) على بعض الروايات في المحتسب

وعليه فقد كان كتاب " المحتسب لابن جنى " و "السبعه فى القراءات " لابن مجاهد هما المصدران اللذان اجريت عليهما خطوات الدراسة

وقد جاء اختياري لهذا البحث لثراء مؤلفات "ابن جنى " كلها بالعديد من المسائل اللغوية على اختلافها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية

وقد جاء البحث فى مقدمة رسمت فيها الهيكل العام لهذا البحث ثم تمهيد عرفت فيه بصاحبى المصدر وهما : ابن مجاهد (٣٢٤هـ) وابن جنى (٣٩٢هـ) ثم شرعت فى تناول المستويات اللغوية حسب الترتيب المشار اليه : الصوتى ثم الصرفي ثم النحوي ثم الدلالي

على أن يكون المنهج المتبع فى الدراسة انما هو المنهج الوصفى الذي يقوم على الوصف والتحليل

- أما عن الصعوبات التى رافقت الباحث على مدار مراحل هذه الدراسة فلعلها تنحصر فى تشابك وتتداخل خيوط الدراسة نظرا لتفوق (ابن جنى) فى وجوه اللغة كلها وتفوقه فى علوم اللغة والنحو والصرف والأدب فقد كان اماما فى كل هذه العلوم .فلا تكاد تظفر بمسالة من المسائل إلا وهو يُسخر لحسمها كل ما أمكنه الله من علم يتعلق بهذه المسألة
- هذا ، وبعد أن امتن الله عز وجل علىّ بتجاوز مراحل الدراسة تمكن البحث من استعراض جملة من النتائج والتوصيات تمخض عنها البحث منها :

١- أن نقاط الخلاف بين ابن مجاهد وابن جنى ممثلة فى كل المستويات اللغوية وأن هذا الخلاف لم يكن عبثا وإنما كان له أصل عند اللغويين وأنهما لم يختلفا فى كل شئ بل أصابا قدرا كبيرا من الموافقة ليعد فى طليعة المفاهيم الزاهرة

٢- أيضا تفوق "ابن جنى " على ابن مجاهد فى موافقة الأول لمذاهب اللغويين والنحاة بل وتفوقه فى مدى الانسجام الذي وافق كل آراء ابن جنى الصوتية وعلى مستوى كل مؤلفاته . الأمر الذي دفع ابن جنى الى التقليل من الشأن والاستهانة فى بعض الأحيان بآراء ابن مجاهد بل ربما زاد هذا التندر حتى وصل الى مرتبة التعريض

٣- ومنها ما ترتب على ما سبق من تفوق ابن جنى على ابن مجاهد فى كثير من وجوه المقارنة فقد تفوق عليه صوتيا وصرفيا ودلاليا . وعلى مستوى العلوم الشرعية وكثرة الشواهد عند ابن جنى

٤- كما لاحظت الدراسة أن ابن جنى لم يكن دأبه فقط الانتصار لمذهبه من ابن مجاهد بل ربما صَوب رأيه فى بعض الأحيان بل ربما استعان به لترجيح قراءة على أخرى أو انتصارا لمذهب على آخر لا سيما وقد رصد البحث بعض الحالات القليلة التى أصاب فيها ابن مجاهد الجادة وسدة الصواب.

الدكتور

أحمد إبراهيم محمد علي

أستاذ أصول اللغة المساعد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بني سويف

شعبة اللغة العربية ــ جامعة الأزهر

Research Summary

Ibn Jenny's discussion (died in 392 A.H)
of the objections of Ibn Mojahed, who died in the year " 324 AH,"
to some of the narrations in In Ibn Jenny's book "Al-Muhtasib""

Thus, "Muhtasib" Ibn Jenny's book " and "Al-Sabaa 'in the Recitations" by Ibn Mujahid were the two sources on which the study has depended on

In my choice for this research is to enrich the works of Ibn Jenny in a variety of linguistic, phonetics, grammatical and semantic issues.

The research came in an introduction in which the structure of the work of this research was written and then a preface in which the author of the source is known as Ibn Mojahed 324 AH and Ibn Jenny (392 AH). Then I started to address the linguistic levels in the order referred to as the phonetic and morphological, then grammatical and semantic

The method used in the study it is the descriptive approach, which is based on the description and analysis

-As for the difficulties that accompanied the researcher throughout the stages of this study, it may be confined to the intertwining and overlap of the threads of the study because of the superiority of " Ibn Jenny " in the faces of the language and its superiority in the sciences of language, grammar, literature and literature has been Imam in all these ills. Only he mocks to resolve all that God can of knowledge concerning this matter

***This after the gratitude of God Almighty to overcome the stages of study enables the search to review a set of conclusions and recommendations emerged from the research**

***The points of disagreement between Ibn Mojahed and Ibn Jenny are represented at all linguistic levels and that all this dispute was not in vain, but it had an origin among the linguists and that they did not differ in everything, but a great deal of agreement to be considered in forefront of bright concepts .**

***Ibn Jenny also surpassed the Ibn Mojahed in the first approval of the doctrines of the linguists and the prophetic, and even surpassed in the extent of harmony, which agreed all the views of Ibn Jenny voice and the level of all his writings. Which led Ibn Jannah to Tindarfi inference sometimes in the views of Ibn Mojahed, but perhaps increased this trickery even reached the level of exposure**

***including the result of the above superiority of the Ibn Jenny on the Ibn Mojahed in many aspects of the comparison has surpassed him voice, exchange and delusion. And the level of forensic sciences and the abundance of evidence at Ibn Jenny**

Ibn Jenny as the study has noticed didn't aim at only defending his dectorine against Ibn Mojahed . but he may have corrected his opinion . Sometimes he also may have used Ibn Mojahed's opinion to prefer recitation to another or to defend adectorine against another . particularly the research monitored some a few cases in which Ibn Mojahed was completely right.

Dr

Ahmed Ibrahim Mohamed Ali

Professor of Assistant Language In the Faculty of Islamic and Arabic Studies Beni Suef Girls Arabic Language Division

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، **وبعد** .....

فقد عالج هذا البحث قضايا متشابكة جدا من قضايا البحث اللغوى ، تشابكت فيها جميع وجوه اللغة : الصوتية ، والصرفية ، والمعجمية ، والنحوية ، والدلالية ، إثر مواجهة مباركة بين علم من أعلام اللغة فى العصر القديم ، لا زالت قضاياه وأفكاره تطرح - إلى اليوم – على موائد اللغويين ، غزت أفكاره الصوتية والصرفية كل العصور ، وليس لباحث من عذر فى إهمال أفكاره ، التى أودعها مؤلفاته ، لا سميا (سر صناعة الإعراب) و (الخصائص) فضلا عن صحبة المتنبى له ، وثنائه عليه ، وتفوقه فى النحو والصرف واللغة والأدب ، فقد كان إماما فى كل هذه العلوم، ألا وهو ابن جنى .

وبين علم آخر من أعلام القراءات القرآنية ، بما تحويه من زخم اللهجات العربية وخصائصها، ألا وهو أبو بكر بن مجاهد ، وقد طفق ابن جني – في كتابه (المحتسب) – يتعقب اعتراضات ابن مجاهد – في كتابه (السبعة في القراءات) – على بعض القراءات ، وقد أسفر هذا التعقب عن الموافقة حينا والاعتراض أحيانا .

ومما راق لى فى هذه المصدر – المحتسب – أن ابن جنى كان يسوق اعتراض ابن مجاهد ، فى مسألة بعينها سوقا صريحا ، وربما دون أدنى تصرف فى هذا السوق ، ثم يتولى بعد ذلك – وبدقة فائقة – مسألة الرد على ابن مجاهد ، مستخدما كل ما زوده الله به من أسلحة الرد ، بل من

أسلحة المحاورة والمفاصلة والمباراة ، الأمر الذى عاد ببالغ الفائدة وعظيم النفع والثراء على هذه اللغة ، فأحيا كثيرا من ثوابت هذه اللغة ، وصوب الكثير من المفاهيم الخاطئة ، وجبر كثيرا من الكسر الذى ألم ببعض المناسبات ، فرأيت – جلبا للنفع العام المتمثل فى ثراء ثوابت ومفاهيم هذه اللغة ، وجلبا للنفع الخاص المتمثل فى خطوة ألزم الباحث الوقوف عندها بشدة ، آخذا فى الاعتبار غناء المصدر بالعديد والعديد من المسائل اللغوية ، التى تجاوزت محيط الخفة والشهرة ، لتلقى بظلال الشدة والعسر وتكلف المشاق لحسمها واجتيازها – رأيت نصب علاقة مواجهة بين العلمين عند كل نقطة وقع فيها خلاف بينهما .

الأمر الذى دفعنى فى كثير من الأحيان إلى التواصل مع أساتذة أصول اللغة على مستوى الجامعة ، بغية التغلب على جل هذه الصعاب ، ومن هنا فإننى أتوجه إليهم بجزيل الشكر والعرفان جزاء ما أسدوه من معروف ، ونصح لحسم هذا النزاع .

وعلى الرغم من تشابك خيوط الدراسة فإن المنهج الوصفى ، الذى يقوم على الوصف والتحليل ، يصفو منها منهجا مختارا لخوض غمار هذه الدراسة ، مع الأخذ فى الاعتبار أن اتساع رقعة الاعتراضات ، وتمدد ظلالها قد أتاح للباحث فرصة التعامل مع أكبر عدد ممكن من المصادر والمراجع ، مع التسليم بقسوة البحث ، لا سيما فى بعض الأحيان ، التى استعمل فيها العلمان قدراتهما الخاصة فى مسائل بعينها .

وتيسيرا لمهمة المتلقى فقد آثرت الجمع بين المتشابهات فى مكان واحد ، حتى يتيسر للمتلقى مهمة التفتيش عن هدف بعينه ، فجمعت كل ما يتعلق بالمستوى الصوتى فى مكان واحد ، ثم الصرفى ، ثم النحوى ، ثم

الدلالى ، وبنفس الترتيب كما هو متفق عليه عند اللغويين . مع رصد الآية التى احتضنت الكلمة موضع البحث والتفتيش .

هذا ، وقد وقف البحث عند كثير من الآراء التي نسبها ابن جني لابن مجاهد ، غير أني لم أقف عليها في كتاب (السبعة) ، ولكن تعرض لها البحث شأنها شأن سائر القراءات إثراء للمفاهيم اللغوية

وعليه ، فقد جاء البحث فى مقدمة ، رسمت فيها الهيكل العام لهذا البحث ، ثم تمهيد عرفت فيه بعلمى المصدر : ابن مجاهد (ت ٣٢٤) وابن جنى (ت ٣٩٢) ، ثم شرعت فى تناول المستويات اللغوية حسب الترتيب المشار إليه : الصوتى ثم الصرفى ثم النحوى ثم الدلالى .

كما راعيت – وعند ذكر النتائج والتوجيهات التى تمخض عنها البحث أن تكون مرتبطة بكل مستوى من المستويات المشار إليها . ثم أخير ثبت بأهم المصادر والمراجع ، سائلا الله – عز وجل– أن يبارك هذا العمل وأن يتقبله ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، فإنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير ، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحيه صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم الدين .

الباحث

التمهيد

ابن مجاهد وابن جنى

ويجدر بى – فيه – أن أعرف القارئ بعلمى هذا البحث ، ومن جرت بينهما فصول المحاورة.

أما ابن مجاهد فهو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي الإمام القرئ المحدث النحوى ، شيخ المقرئين ، مصنف كتاب (السبعة) ولد سنة خمس وأربعين ومائتين ، وتوفى سنة أربع وعشرين وثلاث مائة ، سمع من سعد بن نصر، والرمادى ، وطبقتهم ، وتلا على قنبل وأبى الزعراء بن عبدوس ، وانتهى إليه علم هذا الشأن ، وتصدر مدة .

قرأ عليه عبدالواحد بن أبى هاشم ، وأبو عيسى بكار ، وأبو الفرج الشنبوذى ، وحدث عنه ابن شاهين والدارقطنى ، وأبو بكر شاذان ، قال أبوعمرو الدانى : " فاق ابن مجاهد سائر نظائره مع اتساع علمه وبراعة فهمه، وصدق لهجته ، وظهور نسكه ، وتصدر فى حياة محمد بن يحيى الكسائى .

أقبل على حفظ القراءات ، وطلب العلوم اللغوية والشرعية منذ نعومة أظفاره ، كما أقبل على أساتذة النحو الكوفيين يأخذ ما عندهم ، وكما أكب على دراسة الحديث النبوى ، ومعرفة الآثار ، أكب إكبابا منقطع النظير على قراءة القرآن ، وتفسيره ومعانيه وإعرابه ، وروايات حروفه ، وطرقها .

وكان لا يغضب ولا يسخط إلا فى رضا الله ، وتأمل موقفه مع الحلاج الصوفى فإنه حمل عليه حملات أدت إلى حبسه ، ومحاكمة قضاة المذاهب الأربعة له .

وأهم من ذلك موقفه من ابن شنبوذ ، الذى كان يعتمد شواذ القراءات، فأراد ابن مجاهد أن يرده إلى جادة الصواب ، ولما لم ينته رفع أمره إلى مقلة الوزير ، وضرب بالأسواط ، وحبس حتى أعلن توبته .

وبتلك المواقف لابن مجاهد يكون قد وضع أصلين أساسيين فى قبول القراءات :

الأصل الأول : أن تكون مطابقة لخط المصحف العثمانى .

الأصل الثانى : أن تكون صحيحة السند ، وسنراه ففى كتابه (السبعة) يرد بعض القراءات المروية لأنها لا توافق العربية ، وبذلك يكون قد وضع الأصل الثالث لقبول أى قراءة ، وهى موافقتها للعربية ، ولو بوجه من الوجوه [١].

وبعد أن استخلص ابن مجاهد للأمة سبع قراءات ، ألف فيما وراءها من قراءات صحيحة فى كتابه فى القراءات الشاذة ، وسماه كتاب القراءات الكبير ، بجانب كتاب السبعة ، كتابا مستقلا ، ويضاف إليه أيضا كتاب عن قراءة على ابن أبى طالب ، وكتاب فى الياءات ، وآخر فى الهاءات[٢].

١- السبعة في القراءات : ابن مجاهد ، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر١٩٧٢م، ص٣

٢ – انظر : سير أعلام النبلاء : الذهبى ١١/ ١١٧ – ١١٨ ، وكتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد : تحقيق شوقى ضيف ص ١٣-١٧ . والترجمة للمحقق ، والبداية والنهاية : ٣٣١/١١ ، والفهرست لابن النديم : ص ٩٥ .

أما ابن جنى ، فهو : أبو الفتح عثمان بن جنى المَوْصِلى ، صاحب التصانيف ، كان أبوه مملوكا وفيا لسليمان بن فهد الموصلى ، لزم أبا على الفارسى دهرا ، وسافر معه حتى برع وصنف، وسكن بغداد ، وتخرج به الكبار ، وله (سر الصناعة) و (اللمع) و (التصريف) و (الخصائص) و(المقصور والممدود) و(ما يذكر وما يؤنث) و (المحتسب) فى الشواذ، وله نظم جيد . أخذ عنه الثمانينى ، وعبد السلام البصرى .

وقد صحب المتنبى واجتمع به بحلب ، وفى شيراز ، وكان المتنبى يجله ، ويقول فيه : " هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس " . وكان المتنبى إذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف فى شعره ، يقول : " سلوا صاحبنا أبا الفتح " .

ويقول فى مسالك الأنصار : " وكان أبو الطيب المتنبى إذا سئل عن معنى قاله ، أو توجيه إعراب حصل فيه إغراب ، دل عليه ، وقال : عليكم بالشيخ الأعور ابن جنى ، فسلوه ، فإنه يقول ما أردت ، وما لم أرده " .

وابن جنى أول من شرح ديوان المتنبى ، وقد شرحه شرحين : الشرح الكبير ، والشرح الصغير ، والأخير هو الباقى لنا .

وقد بلغ أبو الفتح فى علوم العربية الجلالة والخطر ما لم يبلغه إلا القليل ، وقد أصبح ابن جنى فى مجرى القرون بعده مضرب المثل فى معرفة النحو والتبريز فيه .

قال فيه الثعالبى فى اليتيمة : " هو القطب فى لسان العرب ، وإليه انتهت الرياسة فى الأدب". وكان ابن جنى واسع الرواية والدراية فى اللغة ، ونرى قدرا صالحا من اللغة مرجعه إلى هذا الإمام .

كما كان إماما فى النحو والصرف ، وهو على إمامته فيهما فى النحو أمثل منه فى الصرف ، ومرد نبوغه فى الصرف عجزه أمام أبى على فى مسألة صرفية ، فكان جده فى الصرف أكثر وأبلغ من جده فى النحو ، وكان ابن جنى يتعاطى فى شعره الغريب والمعقد من الأساليب ، وأنه لم يكن يعنى بالشعر ، فقد كان همه العلم ، ولذلك يقول الثعالبى : " وكان الشعر أقل خلاله ، لعظم قدره ، وارتفاع حاله " . ولد قبل الثلاثين وثلاثمائة وتوفى سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ، وكان أعور[١].

١ – انظر : سير أعلام النبلاء : ٨/١٢ ، ومقدمة المحتسب : ٤٤/١-٥٦ ، وشذرات الذهب : ١٤٠/٣ .

مستويات البحث

كما أشرت فى المقدمة ، وتيسيرا لمهمة المتلقى ، فقد آثرت تناول المستويات وفق الترتيب المعهود عند اللغويين : المستوى الصوتى ، ثم الصرفى ، ثم النحوى ، ثم الدلالى .

أولا : **المستوى الصوتى** : وفيه يتضح بيان وظيفة الصوت فى المنطوق ، بدءا بالحركات، وهى أصغر وحدة صوتية ، وانتهاء بالمقطع . فإذا ما استعرضنا أثر الوحدة الصوتية الصغرى فى تحديد دلالة اللفظ المفرد ، وجدنا أن دلالة اللفظ تتأثر باختلاف حركة الحرف ، مع إتقان اللفظين فى جميع الحروف .

وكذلك لو انتقلنا إلى أثر الصوت البسيط – وهو حرف واحد فى كلمة – لوجدنا أن كل حرف من الأحرف التى تتكون منها الكلمة يستقل ببيان معنى خاص به ، وأن تغيره بحرف آخر يستلزم تغير دلالة الكلمة [١].

فضلا عن الظاهر الصوتية المعهودة :

١- الفتح والإمالة ٢- تحقيق الهمزة وتسهيلها

٣- الإدغام ٤- التثقيل والتخفيف

٥- الفتح والإسكان

إلى آخره من سائر الظواهر الصوتية التى تمخض عنها البحث .

---

١ – انظر : الخصائص : ابن جنى ، تحقيق : د . عبدالحميد هنداوى ، منشورات محمد على بيضون دار الكتب العلمية – بيروت ، ط (٢) ، ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م ٥٠٩/١ .

١- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ﴾ البقرة: ٣٣

قال ابن جنى : " ومن ذلك قراءة الحسن – رحمه الله – (أَنْبِهِمْ) بوزن (أعطهم) وروى عنه : (أنبيهُم) بالهمز ، وروى عن ابن عامر (أَنْبِئْهِم) بهمز وكسر الهاء " [١].

قال ابن مجاهد : " وهذا لا يجوز " [٢].

قال ابن جنى : " فقد علمت بذلك أن قول ابن مجاهد : هذا لا يجوز ، لا وجه له ، لما شرحنا من حاله " [٣].

والمعهود أن (هذا) اسم إشارة للقريب ، ولو اعتددنا بهذا المفهوم لأضحى اعتراض ابن مجاهد منصبا على آخر قراءة ، باعتبارها أقرب قراءة، غير أنى – وأنا أتابع تفنيد ابن جنى للقراءات المعروضة – وجدته ينافح عن كل القراءات السابقة ، فلم يقتصر سعيه على القراءة الأقرب ، وكما هو مدلول(هذا) .

أما القراءة الأولى (أَنْبِهِم) فقد أصل لها ابن جنى ، ثم ضعف هذا التأصيل ، قال : " أما قراءة الحسن (أنبهم) كأعطهم ، فعلى إبدال الهمزة

---

١ – المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها : ابن جنى ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط (١) ١٤١٩هـ = ١٩٩٨ م : ١٤٨/١ .

٢ – السابق ، وتمام نصه في السبعة :" وينبغي أن تكون– أي (أنبيهم)– غير مهموزة ، لأنه لا يجوز كسر الهاء مع الهمز، فتكون مثل (عليهُم) و (عليهِم) ، وزعم الأخفش الدمشقي عن ابن عامر(أنبئهِم) مهموزة مكسورة الهاء، وهو خطأ في العربية " . السبعة في القراءات ، ص ١٥٣

٣ – المحتسب : ١٥٢/١ .

ياء ، على أنه يقول : أنبيتُ كأعْطَيْتُ ، وهذا ضعيف فى اللغة ، لانه بدل لا تخفيف ، والبدل عندنا لا يجوز إلا فى ضرورة الشعر " (١).

أما إبدال الهمزة ياء فقد أخذ به الكثير ، وهو معتمد عند علماء الإبدال، وقد اختصه ابن السكيت – فى كتابه (الإبدال) – بفقرة خاصة ، مليئة بالعديد من الأمثلة (٢).

كما أخذ به الدكتور رمضان عبدالتواب فى كتابه : (مشكلة الهمزة العربية) ، قال : " وإن كان ما قبلها – أى الهمزة – مكسورا ، أبدلت مكانها ياء ... وذلك : الذئب ، والمئرة : ذيب وميرة"(٣).

وكأن الأمر عند ابن جنى مرجعه إبدال الهمزة ياء ، فصارت (أنْبيهِمْ) وهو ما أشار إليه النحاس ، قال : " (يا آدم) نداء مفرد ، (أنبئهُم) حذفت الضمة من الهمزة ، لأنه أمر ، وإن خففت الهمزة قلت : (أنبيهُمْ) كما قلت: ذيْب ، وميْر " (٤).

١- السابق : ١٤٨/١ .

٢- الإبدال : ابن السكيت ، تحقيق : د . حسين محمد محمد شرف ، مراجعة الأستاذ على الجندى ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية – القاهرة ، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ / ، ص ١٣٦-١٣٧ .

٣- الكتاب: ٥٤٤/٣ ، وتمام نصه عند سيبويه : " فإنما تبدل مكان كل همزة ساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها ، لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها " ، وانظر: مشكلة الهمزة العربية : د / رمضان عبدالتواب ، مكتبة الخانجى – القاهرة ، ط (١) ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦ م ، ص ٣٣ . والمئرة – بالهمزة – : الذَّحْل والعدواة ، وجمعها : مِئَر، اللسان : ابن منظور ، دار المعارف – القاهرة : ٤١١٩/٥ مأر بتصرف يسير .

٤- إعراب القرآن : النحاس ، تحقيق : د . زهير غازى زاهد ، عالم الكتب – القاهرة ، ط (٢) ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م : ٢١١/١ .

وعليه فعبارة ابن مجاهد السابقة : " وهذا لا يجوز " ، لعله قصد بها من قرأ (أنبيهِمْ) بكسر الهاء ، فلم تحظ هذه الرواية بالقبول ، قال عنها الأزهرى : " وقد روى عن ابن عامر أنه قرأ (أنبيهِمْ) بحذف الهمزة ، كان جائزا فى العربية ، ولا يجوز فى القراءة ، لأنه لم يقرأ به احد " [١].

وقد علل ابن خالويه لبعد هذه القراءة عن وجه الصواب ، قائلا : " وهذا – أى القراءة بكسر الهاء – غلط ، لأن الهاء إنما تكسر إذا تقدمتها كسرة أو ياء ، وقرأ الباقون (أنْبئهُمْ) وهو الصواب"[٢].

بل ما أكده ابن خالويه فى كتابه (الحجة) ، إذ يقول : " قوله تعالى: (أنبئهمْ) قرأه ابن عامر بطرح الهمزة ، وإثبات الياء ، وكسر الهاء ، فإن كان جعله من أنْبَى ينْبِى ، غير مهموز ، فهو لحن ، وإن كان خفف الهمزة، وجعلها ياء ، وهو يريدها كان وجها " [٣].

كما فرق أصحاب المعاجم بين الفعلين ، قال ابن منظور : " ونبأ عليهم ينبأُ نبئاً ونبوءا : هجم وطلع " [٤].

١- معانى القراءات : الأزهرى ، تحقيق : أحمد فريد المزيدى ، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط (١) ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م ، ص ٤٨ . وهذه الرواية – (أنبيهِم)- ذكرها ابن مجاهد في (السبعة) ص ١٥٤ .

٢- إعراب القراءات السبع وعللها : ابن خالويه ، تحقيق : د عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجى – القاهرة ط (١) ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م ، ٨٢/١ .

٣- الحجة فى القراءات السبع : ابن خالويه ، تحقيق : أحمد فريد الزيدى ، منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت ، " (١) ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م . ص ٢٨ .

٤- لسان العرب : ابن منظور ، دار المعارف – القاهرة ٤٣١٦/٦ (نبأ) .

وقال فى مادة (نبا) : " نبا الشيء عنى ينبو، أى تجافى وتباعد " [١].

فالخلاصة – إذن – أن ابن جني وافق ابن مجاهد فى قراءة (أنبيهِمْ) وإن عد ابن جنى هذا من قبيل الإبدال ، فهو ضعيف فى اللغة ، ولم نجد له صدى عن المتقدمين ، كابن السكيت ولا عند المتأخرين كالدكتور / رمضان عبدالتواب . وإن كان ابن خالويه قد جوز ما رآه ابن جنى ضعيفا فى اللغة – أعنى : تخفيف الهمزة وجعلها ياء – وما لم يجوزه ابن مجاهد من قراءة ابن عامر (أنبئهمْ) بهمز وكسر الهاء ، لم يجوزه أيضا الأزهرى وابن خالويه .

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا ﴾ البقرة: ١٠٠

" ومن ذلك ما رواه ابن مجاهد عن روح بن أبى السَّمَّال : أنه قرأ (أوْكلما عاهدوا) ساكنة الواو"[٢].

قال أبو الفتح : " لا يجوز أن يكون سكون الواو فى (أوْ) هذه على أنها فى الأصل حرف عطف ، كقراءة الكافة (أوَكلما) من قبل أن واو العطف لم تسكن فى موطن علمناه ، وإنما يسكن بعدها مما يخلط معها ، فيكونان كالحرف الواحد ، نحو قوله – تعالى – :﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ ﴾ الأنعام: ٣ وقوله – سبحانه – :﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم ﴾ الأنعام: ١٢٧، بسكون الهاء[٣] ، فأما واو العطف فلا تسكن من موضعين :

---

١ – السابق : ٤٣٣٣/٦ (نبأ) .
٢ – المحتسب : ١٨٣/١ . ولم أجد هذا النص في كتاب السبعة .
٣ – ويجوز تسكين الهاء في هذين الضميرين إذا وقعا بعد الفاء والواو واللام وثم ، وكما تسكن همزة الاستفهام ، وكان الجر اضطرارا ، وذلك عند قيس وأسد. اللهجات العربية نشأة وتطورا: د. عبدالغفار هلال، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط(٢) ١٤١٤هـ =١٩٩٣م، ص ٣٠٨ .

أحدهما : أنها فى أول الكلمة ، والساكن لا يبتدأ به .

والآخر : أنها هنا وإن اعتمدت على همزة الاستفهام قبلها فإنها مفتوحة ، والمفتوح لا يسكن استخفافا ، وإنما ذلك فى المضموم والمكسور، نحو : كرْم زيد ، وعلْم الله ، وقد مضى ذكر ذلك"(١).

وهنا وقع الاعتراض من ابن جنى على ابن مجاهد ، أنه قرأ (أوْ كلما عاهدوا) ساكنة الواو، وقد جاء الاعتراض من ابن جنى متمثلا فى أن واو العطف لا تسكن فى موضعين : أحدهما : إذا جاءت فى أول الكلمة ، فالساكن لا يبتدأ به ، وهذا أصل أشاعه ابن جنى فى أكثر من مناسبة ، وذلك أن الأصول عنده ثلاثة ، : " ثلاثى ورباعى وخماسى ، فأكثرها استعمالا ، وأعدلها تركيبا الثلاثى ، وذلك لأنه حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به ، وحرف يوقف عليه " (٢).

ثم قال بعد قليل : " والابتداء بالساكن ليس فى هذه اللغة العربية " (٣).

والآخر: أنها هنا ، وإن اعتمدت على همزة الاستفهام ، فإنها مفتوحة، والمفتوح لا يسكن استخفافا، وإنما ذلك فى المضموم والمكسور " (٤).

وذلك لأن الضمة والكسرة من أصوات اللين الضيقة (٥). أما الفتحة فهى صوت اللين المتسع(٦).

---

١ – المحتسب : ١٨٣/١ .
٢ – الخصائص : ١٠٥/١ .
٣ – السابق : ١٠٨/١ .
٤ – المحتسب : ١٨٣/١ .
٥– فى اللهجات العربية : د : إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ٢٠٠٣م ، ص ٨١ .
٦– المدخل إلى علم اللغة: د: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجى – القاهرة،١٩٨٠م ص ٩٥ .

وهذا يعنى – وفق تصور ابن جنى – أن الواو هنا ليست حرف عطف، بل (أو) كلها حرف واحد ، يعكس معنى الترك والتحول ، بمنزلة أم المنقطعة ، والتقدير : (وما يكفر بها إلا الفاسقون ، بل كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم) [١].

ثم أكد هذا المعنى بقوله : " يؤكد ذلك قوله – تعالى من بعده :﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ البقرة: ١٠٠ ،وكأنه قال : بل كلما عاهدوا عهدا، بل أكثرهم لا يؤمنون " [٢].

ومجيء (أو) بمنزلة (أم) المنقطعة أشار إليه كثير من النحاة ، فقد رصد هذا المعنى ابن الشجرى ، فيما رصد من ذكر معانيها ، قال : " واختلفوا فى قوله – تعالى :﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ الصافات: ١٤٧ ، فقال بعض الكوفيين : أو : بمعنى الواو ، وقال آخرون منهم : المعنى : بل يزيدون ، وهذا القول ليس بشيء عند البصريين " [٣].

وعده – أى : الإضراب – ابن عقيل من استعمالات (أو) ، فقال : " للإضراب " ثم احتج ببيت جرير بن عطية :

ماذَا ترى فى عيالٍ قدْ بَرِمْتُ بِهِمْ ... لمْ أحْصِ عِدَّتَهُمْ إلا بِعِدَّادِ

كانوا ثمانية أوْ زادوا ثمانية ... لوْلا رجاؤُكَ قدْ قَتَلْتُ أولادِى

---

١ – المحتسب : ١٨٣/١ .

٢ – السابق .

٣ – أمالى ابن الشجرى : تحقيق ودراسة : د . محمود محمد الطناحى ، مكتبة الخانجى – القاهرة ، " (١) ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م ، ٧٧/٣ .

والشاهد فيه : (أو زادوا) حيث استعمل فيه (أو) للإضراب ، بمعنى بل [١]. وقد جمع السمين الحلبي كل الأقوال السابقة في عبارته عن الواو الساكنة في الآية السالفة، ففيها ثلاثة أقوال [٢]، الأول: أنها عاطفة على الفاسقين ، وتقديرها (إلا الذين فسقوا أو نقضوا) ، ويقصد به أنه عطف الفعل على الاسم ، وهو قول الزمخشري [٣] ، والثاني: ساقه المهدوي ، فهي لانقطاع الكلام ، بمنزلة أم المنقطعة ، وهذا رأي الكوفيين . والثالث قاله الكوفيون أيضا ، فهي عندهم بمعنى الواو ، كقوله تعالى: ﴿ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ﴾ النساء: ١١٢ ، والآية : ﴿ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ ﴾ الإنسان: ٢٤

ثم شرع ابن جنى فى الانتصار لمذهبه ، قائلا : " وأو هذه التى بمعنى (أم) المنقطعة – وكلتاهما بمعنى(بل) – موجودة فى الكلام كثيرا " [٤]. وقد طرح العديد من الأمثلة ، بما فى ذلك موافقة الفراء له فى مذهبه ، وقد احتج الفراء بقول ذى الرمة ، وهو من الطويل:

بَدَتْ مثل قرن الشمسِ فى روْنقِ الضحا وصورتِها أو أنت فى العين أملحُ

---

١ – شرح ابن عقيل : تحقيق : محمد محى الدين عبدالحميد ، دار الفكر – القاهرة ، ٢/٢٣٢ – ٢٣٣ . الشاهد رقم(٢٩٥). وانظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: ح الفاخوري ، دار الجيل – بيروت ، ط(٢) ١٤١٧هـ=١٩٩٧م، ١/١١٦ ، الشاهد رقم ٩٤ ، وهو من البسيط .

٢ – الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تحقيق د. أحمد محمد الخراط ، دار القلم – دمشق ٢/٢٥-٢٦

٣ – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الزمخشري ، المطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية، ١٣١٨ هـ ، ٣/٢٢٧

٤ – المحتسب : ١/١٨٤ .

قال : معناه : بل أنت فى العين أملح [١].

بل احتج لمذهبه بقوله – تعالى – :﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧ ﴾ الصافات: ١٤٧

قال : معناه : بل يزيدون [٢].

وكذلك ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن جنى – وبعد ان منع الواو من (أو) أن تكون ساكنة – ذكر أن ما بعدها مما يخلط معها هو الأحق بالتسكين ، فيكونان كالحرف الواحد ، ضاربا المثل بقوله – تعالى : (وهْو الله) وقوله – تعالى – : (وهْو وليهم) بسكون الهاء وتوجيه ذلك أن الهاء لما توسطت مضمومة بين واوين ثقل ذلك ، والعرب تجيز التحريك والتسكين فى أصوات الحلق ، فضلا عن أن الهاء لما اتصلت بما قبلها من واو ، وكانت لا تنفصل عنها صارت كالكلمة الواحدة ، فخففت الكلمة ، وأسكن الوسط ، فصارت تشبه فى ذلك لفظة (عَضُدَ) التى مالت العرب إلى تخفيفها، فقالت (عَضْد) وهى لغة مشهورة مستعملة ، نص صاحب (المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة) على أنها لغة نجد. [٣]،

---

١ – الخصائص : ٢١٩/٢ .

٢ – المحتسب : ١٨٤/١ .

٣ – انظر : اللهجات العربية فى التراث : د . أحمد علم الجندى ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٧٨م ، ٢٤٢/٢ ، والمغنى فى توجيه القراءات العشر المتواترة : د . محمد سالم محيسن ، دار الجليل – بيروت ، " (٢) ١٩٨٨م.ص١٢١ .

٣- ومن وجوه الاعتراض حول قوله – تعالى – :﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ البقرة: ١٢٩

قال ابن مجاهد : قال ابن عباس : سألت أبا عمرو عن (يعلمهم الكتاب) فقال أهل الحجاز يقولون : (يعلمهم ويلعنهم) مثقلة ، ولغة تميم : (يعلمْهم و يلْعنهم)[١] ، قال أبو الفتح : " أما التثقيل فلا سؤال عنه ولا فيه، لأنه استيفاء واجب الإعراب ، لكن من خذف فعنه السؤال ، وعلته توالى الحركات مع الضمات ، فيثقل ذلك عليهم، فيخففون بإسكان حركة الإعراب "[٢].

وهنا وقع الخلاف حول وله – تعالى – : (يعلمهم الكتاب) فذهب ابن مجاهد إلى أن أهل الحجاز يقولون : (يعلمهم) مثقلة ، ولغة تميم (يعلمهم) مخففة [٣].

ثم شرع ابن جنى فى الانتصار لمذهب التخفيف ، ولكن بحجة : " أن التثقيل فلا سؤال عنه ولا فيه ، لأنه استيفاء واجب الإعراب ، ولكن من حذف فعنه السؤال " ، والجواب – كما أورده ابن جنى – أن علة الحذف توالى الحركات مع الضمات ، فيثقل ذلك عليهم ، فيخففون بإسكان حركة الإعراب [٤].قال أستاذنا الموقر الدكتور / عبدالغفار هلال : " يسكن بعض العرب كبنى تميم وغيرهم المتحرك فى بعض الأوزان المستعملة فى الأسماء

---

١ – المحتسب : ١/١٩٥ .
٢ – المحتسب : ١/١٩٥ .
٣ – السابق .
٤ – السابق .

والأفعال رغبة فى التخفيف " [١]. بل هذا ما سبق إليه الدكتور إبراهيم أنيس حين قال : " مالت القبائل البدوية ، بوجه عام إلى مقياس اللين الخلفى المسمى بالضمة ، لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية ، فحيث كسرت القبائل المتحضرة ، وجدنا القبائل البدوية تضم " [٢]. وتميم من القبائل البدوية ، أما أهل الحجاز فهم أهل الحضر .

والمعهود هنا أن تسكين ميم (يعلمْهم) يعكس ضربا من ضروب الخفة ، نفقده تماما إذا توالت الضمتان – ضمة الميم وضمة الهاء – وهذا الضرب لم يختلف عليه المتقدمون ولا المتأخرون .

قال سيبويه : " وإذا تتابعت الضمتان ، فإن هؤلاء يخففون أيضا ، كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين ، فالضمتان من الواوين ، فكما تكره الواوان كذلك تكره الضمتان لأن الضمة من الواو"[٣].

وهكذا تتضح الرؤية المنوطة بهذه الآية ، وأن الإسكان مقصد جوهرى ، لإضفاء روح التخفيف على قراءة هذه الآية ، ثم انتقل بدوره – وكعادة ابن جنى وبراعته فى طرح العديد من الأمثلة التى تدعم نظريته – نظائر قرآنية أصلها التخفيف – ومن ذلك قراءة أبى عمرو (فتوبوا إلى بارئكم) (البقرة / ٥٤) بتسكين الهمزة .

١- اللهجات العربية نشأة وتطورا : د . عبدالغفار حامد هلال ، مكتبة وهبة – القاهرة " (٢) ١٤١٤هـ = ١٩٩٣ م ، ص ٣٠٠ .

٢- فى اللهجات العربية : ص ٨١ .

٣- الكتاب : ١١٤/٤ ، وانظر البحر المحيط : أبو حيان الأندلسى ، مطبعة السعادة ، بجوار محافظة مصر ، ط (١) ١٣٢٨هـ ، ٢١/٢ . وهي لغة بكر بن وائل، وأناس كثير من بني تميم. انظر: اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتا وبنية: د. صالحة راشد آل غنيم ، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، ط(١) ١٤٠٥ هـ= ١٩٨٥م ص ١٣٣ .

قال فى البيان : " روى عن أبى عمر اختلاس الكسرة فى الهمزة من (بارئكم) لكثرة الحركات طلبا للتخفيف " [١].

هذا ، وقد أدرج الدكتور / عبدالغفار هلال هذه الظاهرة ضمن ظواهر التخفيف التى استعان بها ، وهو يتحدث عن التخفيف بالإسكان [٢].

ومن هذا الباب أيضا قراءة :﴿ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الزخرف: ٨٠ بسكون اللام[٣].

ومن هذا الباب أيضا قول جرير ، وهو من البسيط :

سيروا بنى العمِّ فالأهوازُ منزلكم ونهر تيرى فلا تعرفْكم العربُ

بإسكان الفاء من (تعرفْكم) [٤].

٤- ومن الدرس الصوتى ما وقع حول قوله – تعالى – :﴿ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ البقرة: ٢٠٣ فقد روى ابن مجاهد عن الزِّمْل بن جَروْل ، قال : سألت سالم بن عبدالله بن عمر عن النَّعْر ، فقرأ (ومن تعجل فى يومين فلَثم عليه ومن تأخر فلَثْمَ عليه) [٥].

قال أبو الفتح : " أصله قراءة الجماعة :﴿ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ البقرة: ٢٠٣

---

١ – البيان فى غريب إعراب القرآن : ابن الأنبارى ص ٧٨ ، الآية (٥٤) من سورة البقرة .
٢ – أنظر اللهجات العربية : ص ٣٠٢ .
٣ – المحتسب : ١٩٥/١ – ١٩٦ .
٤ – السابق ، والأهواز : تسع كور بين البصرة ، وفارس ، وتيرى نهر بالأهواز .
٥ – المحتسب : ٢٠٨/١ . ولم أجد نص ابن مجاهد في كتابه (السبعة) .

إلا أنه حذف الهمزة [١] البتة ، فالتقت ألف (لا) وثاء (الإثم) ساكنين، فحذف الألف من اللفظ ، لالتقاء الساكنين ، فصارت : (فلَثْمَ عليه). وقد مر بنا من حذف الهمزة اعتباطا وتعجرفا [٢]، من نحو هذا أشياء كثيرة " [٣].

وهنا وافق ابن جنى ابن مجاهد فى تأويل الحذف لالتقاء ساكنين ، فأصل قراءة الجماعة : (فلا إثم عليه) ثم حذفت الهمزة ، فالتقت ألف (لا) وثاء (الإثم) ساكنين ، فحذف الألف من اللفظ لالتقاء الساكنين ، فصارت : (فلَثْم عليه) [٤].

وقد أيد ابن جنى مذهبه الموافق هذه المرة مذهب ابن مجاهد بالعديد من الشواهد الشعرية ، منها ما أنشده أبو على : (إن لم أقاتل فالبسونى برقعا)

أراد : فألبسونى ، ثم حذف الهمزة [٥].

ومنها ما أنشده أبو الحسن ، وهو من الطويل :

تَضِبُّ لِثَاتُ الخيلِ فى حَجَراتِها وتَسْمَعُ من تَحْت العجاج لهزْمَلَا

أراد : لها أزملا ، فحذف الهمزة ، نعم ، ثم حذف ألف (ها) لفظا لسكونها وسكون الزاى بعدها [٦].

---

١ – تشبيها لها بالألف . انظر: الدر المصون ٣٤٦/٢ .
٢ – يقصد ما ورد في سورة المدثر (٣٥) وهو قوله تعالى: (إنها لحدى الكبر).
٣ – السابق : ٢٠٩/١ .
٤ – المحتسب : ٢٠٨/١ ، وهذا رأي سيبويه، انظر: الكتاب ٥٤٥/٣ .
٥ – السابق : ٢٠٩/١ .
٦ – السابق : ٢٠٩/١ ، والشاهد أورده ابن جنى أيضا فى الخصائص : ٣٧٣/٢ ، وأورده ابن منظور فى اللسان (زمل) قال : " يريد أزمل ، فحذف الهمزة ، كما قالوا : وَيْلُمِّهِ " وتضب لثاث الخيل ، أى تسيل بالدم وحجراتها : نواحيها ، والعجاج : الغبار ، والأزمل : الصوت ، وجمعه الأزامل .

ومن ذلك قراءة ابن كثير : (إنها لحْدى الكبر) المدثر / ٣٥ ، وما فيه إلا حذف الهمزة لا غير[١].

قال أبو حيان : " وهو حذف – أى حذف الهمزة – لا ينقاس ، وتخفيف مثل هذه الهمزة أن تجعل بين بين ، والظاهر أن هذه الجملة جواب للقسم " [٢].

كما عد ابن جنى – من هذا القبيل – لفظ الجلالة (الله) وتحقيق ذلك أن يكون أصله (الإله) فحذفت الهمزة التى هى فاء [٣]. وقد أشار إلى مثله الراغب فى المفردات ، والجوهرى فى الصحاح ، وابن منظور فى اللسان ، فإلاه أصل لفظ الجلالة الله على فعال بمعنى مفعول ، لأنه مألوه ، أى : معبود ، فلما دخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفا ، لكثرته فى الكلام[٤].

يرجح ذلك ما رواه المنذرى عن أبى الهيثم وقد سأله عن اشتقاق اسم الله – تعالى فى اللغة ، فقال: " كان حقه إلاه ، وأدخلت الألف والله تعريفا ، فقيل الإلاه ثم حذفت الهمزة استثقالا لها ، فلما تركوا الهمزة حولوا كسرتها فى اللام ، التى هى لام التعريف ، وذهبت الهمزة أصلا ، فقالا (أللِاه) فحركوا لام التعريف ، التى لا تكون إلا ساكنة ، ثم التقى لامان متحركان ، فأدغموا الأولى فى الثانية فقالوا : الله"[٥].

---

١ – المحتسب : ٢٠٩/١ .
٢ – البحر المحيط : ٣٧٨/٨ .
٣ – الخصائص : ٣٧٢/٢ .
٤ – أنظر : مفردات الراغب ، والصحاح للجوهرى ، واللسان لابن منظور (أله) .
٥ – اللسان : ابن منظور ، دار المعارف – القاهرة ، (أله) ، الصحاح : الجوهرى : دار إحياء التراث العربى – بيروت ، ط (١) ١٤١٩هـ = ١٩٩٩ / (أله) ، والقاموس المحيط : الفيروز آبادى ، دار الكتب العلمية – بيروت " (١) ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م ، (أله) .

فهنا وافق ابن جنى ابن مجاهد فى تصوره ، الأمر الذى يعكس انتفاء ما يترتب على اختلاف الأقران من تصادم فى الرأى ، وتضاد فى الاتجـــاه ، وهكذا ينبغى أن يكون الحكماء .

٥- ومما اختلف فيه العلمان قوله – تعالى – : ﴿ وَرِءۡيٗا ٧٤ ﴾ مريم: ٧٤

قال ابن جنى : " ومن ذلك قراءة طلحة (وريا) خفيفة بـــلا همـــز ، وقرأ (وَزَيًّا) بالزاى سعيد بن جبير ويزيد البربرى والأعسْمُ المكى " [١].

قال ابن جنى: " النظر من ذلك فى (وريا) خفيفة بلا همز،وذلك أنـــه فى الأصل (فِعْل) إما من (رأيت) وإما من (رويت) فأصله – وهو مـــن الهمز – ﴿وَرِءۡيٗا ٧٤ ﴾ مريم: ٧٤ ،على قراءة أبى عمرو وغيـــره ، فأريـــد تخفيف الهمز ، وأبدلت الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ، ثـــم أبـــدلت الياء المبدلة من الهمزة فى الياء الثانية ، التى هى لام الفعـــل ، فصـــارت (وريا) ، ويجوز أن يكون من (رويت) قال أبو على : وذلك لأن الريـــان نضارة وحسنا ، فيتفق إذا معناه معنى (وزيا) بالزاى ، وأصله على هـــذه (رِوْيٌ) فأبدلت الواو ياء ، وأدغمت فى الياء بعدها ، فصارت (وريا) . حدثنا أبو على عن ابن مجاهد أن القـــراءة فيهـــا علـــى ثلاثـــة أضـــرب : (ورئيا) (وريا) (وزيا) فهذا هذا " [٢].

إذن فقد تمخض عن هذه الآية عدة قراءات :

١- قراءة طلحة : (وريا) خفيفة بلا همز، ولم أجدها في كتاب (السبعة) .

---

١ – المحتسب : ٨٧/٢. وانظر: السبعة في القراءات : ص٤١١ .

٢ – السابق .

٢- قراءة سعيد بن جبير ويزيد البربرى والأعسم المكى : (وزيا) بالزاى، ولم أجدها في كتاب (السبعة) .

٣- قراءة أهل الكوفة وأبى عمرو : (ورئيا) بالهمز ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي[١].

٤- قراءة أهل الكوفة (وريا) مشددة بلا همز ، وهي قراءة ابن عامر ونافع [٢] .

هذه القراءات الأربع أشار إليها ابن جنى فى (المحتسب) [٣] ، كما رصدها أبو جعفر جملة واحدة فى (إعراب القرآن) [٤].

وأضاف أبو حيان :

٥- (ورياء) بالياء ، بعدها ألف ، بعدها همزة ، حكاها اليزيدى [٥].

وقد أقر ابن مجاهد من هذه القراءات ثلاث قراءات فقط :﴿وَرِءۡيٗا ٧٤﴾ (وريا) (وزيا) [٦]، وضرب صفحا عن البعض الآخر ، على الرغم من

---

١ - السبعة : ص٤١١

٢ - السابق : ص ٤١١-٤١٢

٣ - المحتسب : ٨٧/٢ .

٤ -السابق : ٢٦/٣ .

٥ - البحر المحيط : أبو حيان، مطبعة السعادة – مصر ، ط (١) ١٣٢٨هـ : ٢١٠/٦ ، وانظر: المفردات فى غريب القرآن : الراغب الأصفهانى ، المطبعة اليمنية – مصر ، ص٢١٠ ،حجة القراءات : ابن زنجلة ، تحقيق : سعيد الأفغانى ، مؤسسة الرسالة – بيروت ط (٥) ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧/٢./٤٤٦ – ٤٤٧، ومعانى القرآن للأخفش ، تحقيق : د . عبدالأمير أمين الورد ، عالم الكتب – بيروت ، ط (١) ١٤٥٥ هـ = ١٩٨٥ / ، ٦٢٦/٢ .

٦ - انظر المحتسب : ٨٧/٢ ، والسبعة: ص ٤١١ .

إشارة المفسرين وعلماء القراءات وعلماء معانى القرآن والمعجميين إلى صحة ما أهمله ابن مجاهد ، وإليك بيان ما سبقت الإشارة إليه من قراءات ، وفق تأويل ابن جنى ، ومدى موافقته غيره له .

١- أما قراءة طلحة (وريا) بياء مخففة ، غير مهموزة ، فتحتمل أمرين :

أحدهما أن تكون مقلوبة من (فِعْل) إلى (فِلْع) فصارت فى التقدير (ريئا) ثم خفف على هذا، فحذفت الهمزة ، فألقيت حركتها على الياء ، فصارت (ريا) كقولك فى تخفيف (نيء) : أكلت طعاما نيا ، وفى تخفيف الجيئة : الجية فهذا أحد الوجهين فى (ريا) بالتخفيف [١].

والآخر أن يكون يريد (ريا) من رويت ، ثم يخفف الكلمة بحذف إحدى الياءين ، كما قال أتانى القوم لا سيما زيد بتخفيف الياء وقولهم فى الطيَّة والنيَّة : الطيَة والنيَة ، بحذف إحدى الياءين ، وأوجب ابن جنى أن تكون المحذوفة من ذلك كله هى الياء الثانية ، لأنها المكررة ، وبها وقع الاستثقال ، ولأنها لام ، وقد كثر حذف اللام حرف علة ، كمائة ورئة ونئة ، وقلما تحذف العين[٢].

والحقيقة أن هذه القراءة لم تحظ بقبول واسع كغيرها من القراءات ، وإن كان يكفيها فخرا رواية ابن عباس لها [٣]. بل ومع رواية ابن عباس لها تجاسر – بعض الناس – وقال هى لحن " [٤]. ولكن دافع عنها أبو

---

١ – السابق : ٨٧/٢ .

٢ – المحتسب : ٨٨/٢ .

٣ – البحر المحيط : ٢١١/٦ .

٤ – السابق .

حيان ، فقال : " وليس كذلك – أى ليست بلحن – بل لها توجيه ، بأن تكون من الرواء فقلب ، وصار (ورئيا) ثم نقلت حركة الهمزةإلى الياء ، وحذفت أو بأن تكون من الرى ، وحذفت إحدى اليائين تخفيفا ، كما حذفت فى لا سيما " [١].

بل نص أبو حيان على أن المحذوفة الياء الثانية ، " لأنها لام الكلمة ، لأن الثقل إنما حصل للكمة بانضمامها إلى الأولى ، فهى أولى بالحذف " [٢].

كما عرض بهذه القراءة أبو جعفر النحاس ، قال : " وقراءة طلحة بن مُصَرِّف (وريا) بياء واحدة مخففة ، أحسبها غلطا ، وقد زعم بعض النحويين أنه كان أصلها (ورئيا) ثم حذفت الهمزة"[٣].

وعليه فلا يقدح بشدة فى ابن مجاهد أنه أهمل هذه القراءة .

أما قراءة سعيد بن جبير ويزيد البربرى والأعسم المكى : (وزِيًّا) فهى من الزى بالزاى ، فعل من (زَوَيْتَ) وذلك انه لا يقال لمن له شيء واحد من آلته : زىٌّ ، حتى تكثر آلته المستحسنة ، فهى إذا من زويت ، أى: جمعت [٤]. ومن قول النبى – صلى الله عليه وسلم – : " زوِيَتْ لىَ الأرض"[٥].

---

١ – وهو نفس المثال السابق الذى سبق أن استعان به ابن جنى لتوضيح رؤيته .
٢ – البحر المحيط : ٢١١/٦ .
٣ – إعراب القرآن : ٢١١/٦ .
٤ – مسند الإمام أحمد : تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف – القاهرة ، ١٩٥٥م ، ٢٧٨/٥ ، صحيح مسلم بشرح النووى ، تحقيق : عصام الصبابطى ، دار الحديث ، القاهرة : ٢٤٠/٩ الحديث رقم (٢٨٨٩) ، وغريب الحديث : أبو عبيد القاسم بن سلام ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط(١) ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م : ١٤/١ .
٥ – النهاية : ابن الأثير ، تحقيق : د . محمود محمد الطناحى ، المكتبة الإسلامية – القاهرة ، ط (١) ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م ، ٣٢٠/٢.

ومن قول الأعشى :

يَزِيْدُ يغُضُّ الطرْف دوْنى كأنَّما زَوَى بين عَيْنَيْهِ علىَّ المعاجمُ [١].

وأصله (زِوْيٌ) فقلبت الواو على ما مضى ، وأدغمت فى الياء [٢].

قد أشار إلى ما أشار إليه ابن جنى فيما يتعلق بهذه القراءة : الفراء[٣]، وابن خالويه [٤]، وأبو حيان [٥]، وأبو جعفر النحاس [٦].

أما القراءة الثالثة : (ورئيا) بالهمز ، والقراءة الرابعة (وريَّا) مشددة بلا همز ، فقد ارتبطتا بوجه من الوجوه ، فأصل القراءتين عند ابن جنى من الهمز ، وهى قراءة ابى عمرو ، فإذا أريد تخفيف الهمز ، أبدلت ياء لسكونها ، وانكسار ما قبلها ، ثم أدغمت الياء المبدلة من الهمز فى الياء الثانية ، التى هى لام الفعل ، فصارت (وريًّا) : ويجوز أن يكون من رويت ، فأصله على هذا (رِوْى) فأبدلت الواو ياء ، وأدغمت فى الياء بعدها ، فصارت (وريًّا) [٧] .

---

١ – الشاهد من بحر الطويل، وقد ورد بغريب الحديث للهروى : ١٥/١ ، وزوى المعاجم : صرف النظر ، وأمال الطرف . المحتسب : ٨٨/٢ .

٢ – انظر : المحتسب : ٨٨/٢ .

٣ – معانى القرآن : الفراء ، تحقيق : د . صلاح عبدالعزيز السيد ، دار السلام للطباعة والنشر ، ط (١) ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م : ٦٥/٢ .

٤ – إعراب القراءات السبع : ٢٤/٢ .

٥ – البحر المحيط : ٢١١/٦ .

٦ – إعراب القرآن : ٢٦/٣ ، وقد نسبها ابن مجاهد لإسماعيل بن جعفر وقالون والمسيبي والأصمعي عن نافع. انظر : السبعة : ص٤١٢ .

٧ – المحتسب : ٨٧/٢ . وانظر البحر المحيط : ٢١٠/٦ – ٢١١ ، ولسان العرب : ٥٤٠/٣ (رأى) .

وقد حسن النحاس هذه القراءة ، ووافق ابن جنى فى تأويله ، قال : " قراءة أهل المدينة فى هذه حسنة ، وفيها تقديران : أحدهما أن يكون من رأيت ، ثم خففت الهمزة ، فأبدل منها ياء ، وأدغمت الياء ، وكان هذا حسنا، لتتفق رؤوس الآيات ، لأنها غير مهموزات " [١].

وعليه – فمن – همز فمعناه : المنظر الحسن ، ومن لم يهمز فله حجتان :

إحداهما : أن يكون قد أراد الهمز فترك ، كما قرءوا (خير البرية) والأصل البريئة . والحجة الثانية: أن تأخذه من الرى ، وهو امتلاء الشباب والنضارة ، أى : ترى الرى فى وجوههم"[٢].

أما القراءة الخاصة فقد وقعت عليها عند أبى حيان ، فلم يشر إليها ابن جنى ، ولا ابن مجاهد، فقد قرئ (ورياء) بياء بعدها ألف ، بعدها همزة ، حكاها اليزيدى ، وأصله و (رئاء) من المرآة، أى : يرى بعضهم بعضا حسنه " [٣].

إذن فقد انتظمت القراءات سالفة الذكر ثلاثة مستويات :

المستوى الأول : وهو الأشهر والأوضح والأفصح بين سائر المستويات ، وقد انتظم قراءات ثلاث : (ورئيا) (وريًّا) (وزيا) وقد وافق فيه ابن جني ابن مجاهد فيما ذهب إليه ، قال ابن جنى : " حدثنا أبو على عن ابن مجاهد أن القراءة فيها – أى فى الآية – على ثلاثة أضرب (ورئيا) (وريا) (وزيا) فهذا هذا " [٤].

---

١ – إعراب القرآن : ٢٦/٣ .
٢ – إعراب القراءات السبع : ٤٢/٢ ، وانظر البحر المحيط : ٢١٠/٦ .
٣ – البحر المحيط : ٢١٠/٦ .
٤ – المحتسب : ٨٧/٢ .

المستوى الثانى : وقد انتظم قراءة (وريا) مخففة الياء بلا همـــز ، ساقها ابن عباس عن طلحة، وقد تجاسر عليها البعض – كما سبق – وقال: هى لحن ، وقد رد عليهم أبو حيان ، وهى قراءة لم يشر إليها ابن مجاهـــد، وقد ذكرها ابن جنى .

المستوى الثالث : وقد انتظم قراءة اليزيدى (ورياء) بياء بعدها ألف بعدها همز ، ساقها أبو حيان، ولم ينص عليها ابن جنى ولا ابن مجاهد .

وكأن ابن مجاهد قد ساق من قراءات هذه الآية ما انتظمه المســـتوى الأول فقط ، وهى القراءات الأشهر والأدق ، الأمر الذى يعكس تفوق ابـــن جنى على ابن مجاهد ، حتى فيما برع فيه ابن مجاهد من علم القراءات .

٦- ومما اختلف فيـــه العلمـــان قولـــه – تعـــالى- : ﴿ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ ﴾ الأنبياء: ٢٩

فقد روى ابن جنى قراءة أبى عبدالرحمن عبدالله بن يزيد : ﴿ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ ﴾ برفع الهاء والنون[١]. قال ابن مجاهد " لا أدرى ما ضم النون ، لا يقال إلا جزيت ، كما قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ ﴾ سبأ: ١٧ [٢].

قال ابن جنى : " هو لعمرى غريب فى الاستعمال ، إلا أن له وجها أنا أذكره " [٣].

١ – السابق: ١٠٦/٢ ، والقراءة لم ترد في كتاب السبعة لابن مجاهد .
٢ – السابق .
٣ – المحتسب : ١٠٦/٢ .

إذن فقد وافق ابن جنى ابن مجاهد فى استغرابه لهذا الوجه : " وذلك أنه يقال : أجزأنى الشيء : كفانى ، وهذا يجزئنى من كذا ، أى : يكفينى منه ، فكأنه فى الأصل : نجزيء به جهنم ، أى : نكفيها به ، ومعناه : تمكنها منه ، فتأتى عليه ، كأنهم تطلب باستيفائها إياه الاكتفاء بذلك ، ثم حذف حرف الجر ، فصار : نجزئه جهنم ، أى : نطعمه جهنم ، كما حذف الحرف فى قوله – تعالى– :﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا ﴾ الأعراف: ١٥٥، أى من قومه " [١].

وقد ناقش ابن جنى فى هذه الفقرة مسألتين : الأولى : رد فيها على ابن مجاهد ، الذى لم يقر إلى (جزيت) ، وأنه قد يقال : أجزأنى الشيء ، وقد وافق ذلك عندى رأيا نقله ابن منظور عمن يجيز ما أجازه ابن جنى ، قال : " وبنو تميم يقولون : أجْزَأَت ْ عنك شاة ، بالهمز ، أى : قضت"[٢].

كما نقل عن الزجاج فى كتابه : (فعلت وأفعلت) : " وجزت عنك شاة وأجْزَت بمعنى "[٣].

وعن ابن الأعرابى : " وأجزى الشيء عن الشيء : قام مقامه ، ولم يكف " [٤].

---

١ – المحتسب : ١٠٦/٢ .

٢ – لسان العرب : ٦٢١/١ جزى .

٣ – السابق .

٤ – السابق .

بل سبق إلى ذلك المعنى ثعلب ، قال – نقلا عن اللحيانى – : " البقرة تجزء عن سبعة ، وتجزى عن سبعة ، فمن همزها فمعناها : تفى ، ومن لم يهمزها تكون جزاء عن سبعة " (١).

ومن بعده ابن القوطية : " وجزيتك جزاء : كافأتك بفعلك من خير أو شر ، وأجزيت عنك : قمت مقامك " (٢).

هكذا ، وعلى غير ما ذهب إليه ابن مجاهد ، مع الإشارة بمدى موافقة ما ذهب إليه ابن جنى لمذاهب اللغويين والنحاة .

الثانية : حذف الحرف ، وهى مسألة أفاض فيها ابن جنى فى أكثر من موضع من كتابه (المحتسب) بل أطبق عليها فى كتابه الآخر (الخصائص) وفى إطار حديثه عن الحذف بصفة عامة، بل لم يكن وحده المعنى بإقرارهذا الوجه من وجوه العربية ، حتى قال ابن فارس : " ومن سنن العرب الحذف والاختصار " (٣).

بل أفاض ابن الشجرى فى ضرب الأمثلة التى تبين لنا – وبوضوح – تفشى هذه الظاهرة فى لغة العرب ، حتى نص على نفس الآية التى استعان بها ابن جنى لبيان مذهبه فى الحذف ، قال : " ومما حذفوا من الحروف الخافضة (من) فى قولهم : (اخترت الرجال زيدا) يريد من الرجال ،

١- مجالس ثعلب : ثعلب ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، دار المعارف – القاهرة ، ط(٣) ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م ، ٩٩/١ المجلس (١٢٠) .

٢- الأفعال : ابن القوطية ، تحقيق : على فودة ، مكتبة الخانجى – القاهرة ط (٣) ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م : ص ٥٣ حرف الجيم .

٣- الصاحبى فى فقه اللغة العربية : ابن فارس ، تحقيق : د . عمر الطباع ، مكتبة المعارف – بيروت ، ص ٢١١ .

وجاء فى التنزيل : (واختار موسى قومه سبعين رجلا) ، أى : من قومه"[١].

وماذا بعد الحذف ؟

" أبدلت الهمزة من (نجزئه) ياء ، على حد أخطيت وقريت ، فصارت ياء ساكنة : (نجزيه) وأقرت الهاء على ضمتها ، وهو الأصل ، كما قرأ أهل الحجاز : (فخسفنا به وبدار هو الأرض) القصص / ٨١ " [٢].

وهنا استعرض ابن جنى ظاهرتين صوتيتين :

١- الأولى: ظاهرة الإبدال، إبدال الهمزة ياء، على نحو : أخطيت وقريت .

٢- والثانية : الإبقاء على حركة الهاء بالضم ، وعلى نحو ما مر فى آية القصص .

أما إبدال الهمزة ياء إذا كانت مضمومة ، وقبلها ضمة ، أو كسرة فإنك تصيرها بين بين ، وهو قول العرب ، وقول الخليل [٣].

---

١ - أمالى ابن الشجرى : ابن الشجرى ، تحقيق د . محمود محمد الطناحى ، مكتبة الخانجى – القاهرة ، ط (١) ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م : ١٣١/٢ ، وانظر البرهان فى علوم القرآن : الزركشى : تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الفكر – القاهرة ، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م: ٢٤٧/٣-٢٥٥ .

٢ - المحتسب : ١٠٦/٢ .

٣ - انظر : سر صناعة الإعراب : ابن جنى ، تحقيق : أحمد فريد أحمد ، المكتبة التوفيقية – القاهرة ، ٥٧/١ ، وشرح المفصل : ابن يعيش ، تحقيق : د . إبراهيم محمد عبدالله ، دار سعد الدين للطباعة والنشر – القاهرة ٢١٤/٩ .

قال سيبويه : " وإذا كانت الهمزة مضمومة ، وقبلها ضمة أو كسرة ، فإنك تصيرها بين بين ، وذلك قولك : هذا درهم أختك ، ومن عند أمك ، وهو قول العرب ، وقول الخليل " (١).

أما الأخفش فإنه " يقلبها ياء إذا كان قبلها كسرة ، ويحتج بأن همزة بين بين تشبه الساكن ، للتخفيف الذى لحقها ، وليس فى الكلام كسرة بعدها واو ساكنة . قال : فلو جعلت بين بين لنحى بها نحو الواو الساكنة ، وقبلها كسرة ، وهو معدوم " (٢).

ومع أن ابن يعيش قد حسن رأى الأخفش ، إلا أنه أيد رأى سيبويه ، " لأن الواو الساكنة لا يستحيل أن يكون قبلها كسرة ، كما استحال ذلك فى الألف ، وإنما عدولهم عن ذلك لضرب من الثقل ، وإذا لم يستحل ذلك فى الواو الساكنة لم يمتنع فيما قاربها " (٣).

وهذا يعنى أن ابن جنى حين أبدل الهمزة ياء ، أبدلها على مذهب الأخفش ، ثم بعد ذلك أبقى الهاء على حركتها من الضم ، مشيرا إلى أن ذلك هو الأصل ، وقد سبق إلى ذلك سيبويه حين قال : " اعلم أن أصلها – أى : الهاء – الضم ، وبعدها الواو ، لأنها فى الكلام كله هكذا ، إلا أن تدركها هذه العلة .... فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة ، لأنها خفية ، وهى من حروف الزيادة ، كما ان الياء من حروف الزيادة " (٤).

---

١ – الكتاب : ٥٤٢/٣ . وقد عزا سيبويه هذه الصورة من صور التخفيف إلى أهل الحجاز. انظر: الكتاب ٥٤٢، واللهجات في الكتاب لسيبويه ، ص ٣٢٠ .

٢ – شرح المفصل : ٢١٤/٩ ، وانظر معانى القرآن للأخفش : ٢٠٢/١ – ٢٠٤ ، وأثر اختلاف اللهجات العربية فى النحو : د يحيى المباركى ، دار النشر للجامعات – القاهرة ، ١٤٢٨ هـ ، ص ١٧٢–١٧٣ .

٣ – شرح المفصل : ٢١٤/٩ .

٤ – الكتاب : ١٩٥/٤ ، وقال ابن يعيش : " وإذا انضم ما قبلها قلبت واو ، وإذا انكسر قلبت ياء " شرح المفصل : ١٤٣/٩.

غير أن ابن جنى قدر ضم هذه الهاء من (نجزيه) على الرغم من سبقها بالياء[١] ، لأن ذلك هو الأصل ، كما أشار سيبويه [٢]، كما أنها لهجة أهل الحجاز ، قال سيبويه : " وأهل الحجاز يقولون : مررت بهو ، ولديهو مال ، ويقرءون : (فخسفنا بهو وبداره الأرض) [٣]. وهى نفس العبارة التى ساقها ابن جنى [٤].

وعلى هذا قول الشاعر : يعلى بن الأحول الأزدى ، وهو من الطويل:

فَظَلْتُ لدى البيت العتيق أُخَيْلُهو ومطواى مشتاقانِ لهْ أرِقانِ [٥].

فإثبات الواو فى (أُخيلهو) للحجازيين ، وتسكين الهاء فى (له) لهجة أزد السراة ، وعلى الأولى جاءت قراءة (فخسفنا بهو وبدارهو الأرض) القصص / ٨١ [٦]. غير أن أبا الخطاب قد زعم أن " أزد السراة يقولون: هذا زيدو، وهذا عمرو، ومررت بزيدي وبعمري، جعلوه قياسا واحدا فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف" [٧]

قال ابن جنى : " وزاد فى حسن الضمة هنا أن الأصل الهمز ، والهاء مع الهمزة هنا مضمومة أى : (نجزئهُ) فلما أبدلت الهمزة على غير قياس

---

١ – المحتسب : ١٠٦/٢ .
٢ – الكتاب : ١٩٥/٤ .
٣ – السابق .
٤ – المحتسب : ١٠٦/٢ .
٥ – البيت بتاج العروس للزبيدى تحقيق : د . نواف الجراح راجعه : د . سمير شمس ، دار صادر – بيروت ، ٢٠١١م أرق ، وسر صناعة الإعراب : ٢٥٨/٢ ، وانظر اختلاف اللهجات العربية فى النحو : د . يحيى المباركى ص ١٧٠ .
٦ – انظر : معالم اللهجات العربية : د . عبدالحميد أبو سكين ، ص ١٠٣ .
٧ – الكتاب : ١٦٧/٤ ، فربما جاءت اللهجتان عن أسد السراة.

صارت الهاء كأنه لا ياء قبلها ، لأنه ليس هنا مسوغ للهمز لولا حمله على قريت وبابه ، قبقيت الهاء على ضمتها ، تنبيها على أن الهمز ياء فى الحكم، وأن ما عرض فيه من البدل لم يكن عن قوى عذر ، فهذا طريق الصنعة فيه " (١).

وقال : " فإن رأيت الهمزة وسطا أو آخرا ، فاقض بأنها أصل " (٢).

وعبارة ابن جنى هذه تعكس جملة من الحقائق :

منها أن الهمز فى (نجزئه) هى الأصل ، وقد أكد هذه الحقيقة فى موضع آخر من سر صناعة الإعراب ، قال : " فإن حصلت معك أربعة أحرف أصول ، والهمزة فى أولها ، فاقض بأن الهمزة أصل " (٣).

ومنها أن إبدال الهمزة ياء إبدال على غير قياس ، وقد فسره أستاذنا الدكتور / عبدالغفار هلال – وهو يستعرض الإبدال غير القياسى – بقوله : " كما أبدلوا الهمزة ياء لغير علة طلبا للتخفيف ، مثل: قريت وتوضيت فى تخفيف قرأت وتوضأت " (٤).

ومنها أن الهمزة لما أبدلت ياء على غير قياس صارت الهاء كأن لا ياء قبلها ، بل قبلها همزة، ولذلك احتفظت الهاء بحركة الضم ، دليلا على أن الهمزة ياء فى الحكم .

---

١ – المحتسب : ٢/١٠٦ .

٢ – السابق .

٣ – المحتسب : ٢/ ١٠٦ .

٤ – اللهجات العربية : ص ٢٣٠ .

٧- ومما عارض فيه ابن مجاهد ابن جنى ما ورد فى قولـــه – تعـــالى – : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ البقرة: ٢٠.

قال ابن جنى : " ومن ذلك ما حكاه الفراء عن بعض القراء ، فيما ذكر ابن مجاهد (يَخَطَّفُ) بنصب الياء والخاء والتشديد " (١).

وقد اعترض ابن مجاهد على هذه القراءة ، قائلا : " ولم يرو لن عن أحد " (٢). فرد ابن جنى بدوره قائلا : " أصله (يختطف) فآثر إدغام التـــاء فى الطاء ، لانهما من مخرج واحد ، ولأن التاء مهموسة ، والطاء مجهورة والمجهور أقوى صوتا من المهموس ، ومتى كان الإدغام يقـــوى الحـــرف المدغم حسن ذلك ، وعلته أن الحرف إذا أدغم خفى فضعف ، فإذا أدغم فى حرف أقوى منه استحال لفظ المدغم إلى لفظ المدغم فيه فقوى لقوته ، فكأن فى ذلك تدارك وتلاف لما جنى على الحرف المدغم ، فأسكن التاء لإدغامها، والخاء قبلها ساكنة ، فنقلت الحركة إليها ، وقلبت التاء طاء، وأدغمت فـــى الطاء ، فصارت تَخَطَّفُ " (٣).

قال ابن مجاهد : " وحكى الفراء أن بعض أهل المدينة يســـكن الخـــاء والطاء ويشدد فيجمع بين ساكنين ، فيقول: يَخْطِفُ " (٤).غير ان ابن مجاهد نفى نسبة هذه القراءة إلى أهل المدينة (٥). ثم شرع ابن مجاهد يعدد بعـــض

---

١ – المحتسب : ١٤٠/١ . لم أجد هذه القراءة في كتاب السبعة.إلا ما نقله ابن مجاهـــد مـــن اتفاق القراء على أن طاء (يخطف) مفتوحة . انظر السبعة : ص ١٤٦.

٢ – السابق : ١٤٢/١ .

٣ – السابق : ١٤٠/١ .

٤ – معاني القرآن للفراء : ٦٠/١

٥ – المحتسب : ١٤٢/١ ، وبمراجعة كتاب السبعة لم أقف على هذا النص .

القراءات ويردها ، قائلا : " وقد روى عن مجاهد والحسن (يخطِفُ) ولو لم يبلغنا أن أحدا قرأ (خطف) بفتح الطاء ، فيقرأ هذا الحرف (يخطِف) وأحسب أن هذا غلط ممن رواه"(١).

فالدرس الصوتى هنا يتمثل فى ما حكاه الفراء عن بعض القراء (يَخَطَّف) بنصب الياء والخاء والتشديد ، وقد اعترض ابن مجاهد على هذه القراءة ، قائلا : " ولم يرو لنا عن أحد " . فشرع ابن جنى يدلل على صحة هذه القراءة ، مشيرا إلى أن أصل الفعل (يَخْتَطِفُ) فأدغمت التاء فى الطاء، لأنهما من مخرج واحد ، مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا (٢).

كما ذكر ابن جنى من دواعى الإدغام أن " التاء مهموسة ، والطاء مجهورة ، والمجهور أقوى صوتا من المهموس ، ومتى كان الإدغام يقوى الحرف المدغم حسن ذلك " (٣).

---

١ – السابق : ١٤٣/١ . وهذا ما ذكره الزمخشري أيضا ، قال : " وقرأ مجاهد (يَخْطِف) بكسر الطاء والفتح أفصح وأعلى ، وعن ابن مسعود (يختطف) ، وعن الحسن (يَخَطف) بفتح الياء والخاء ، وأصله (يختطف) وعنه (يخِطف) بكسرهما على إتباع الياء الخاء، وعن زيد بن علي (يخطَف) من (خطَف) ، وعن أُبيّ (يتخطف) من قوله : ﴿ وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ العنكبوت: ٦٧" .الكشاف : ١٦٩/١

٢ – سر صناعة الإعراب : ابن جنى : ٥٦/١ . وانظر المدخل إلى علم اللغة : د رمضان عبدالتواب ، مكتبة الخانجى – القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ٤٥ . وقد سماها بالأسنانية اللثوية، وأصوات اللغة العربية د . عبدالغفار هلال : ص ١٢٢ ، ١٥٦ ، وقد عالجها تحت ما يسمى بالأحرف النطعية . انظر كتابه : ص ١٢٩ . وبالعودة إلى كتاب (السبعة) لم أقف على هذا النص عند ابن مجاهد .

٣ – المحتسب : ١٤٠/١ .

وقد وافقه المحدثون فى همس التاء [١]، غير أنهم خالفوه فى وصف الطاء ، فقد وصفها الأقدمون بالجهر [٢]، ووصفها المحدثون بالهمس ، " باتفاق فى نطقنا الحالى ، ونطق قراء القرآن الكريم فى مصر الآن " [٣].

وليس معنى هذا " أن أحد الفريقين تجاوز الصواب فى رأيه بل كل منهما مبنى على أساس النطق الذى وصل إليه " [٤].

وقد علل ابن جنى الإدغام فى الطاء " أن الحرف إذا أدغم خفى فضعف، فإذا أدغم فى حرف أقوى منه استحال لفظ المدغم إلى لفظ المدغم فيه فقوى لقوته " [٥].

وهى عبارة قريبة المعنى من عبارة ابن الجزرى ، وهو يشير إلى تعريف الإدغام : " فهو عبارة عن خلط الحرفين ، وتصييرهما حرفا واحدا مشددا ، وكيفية ذلك أن يصير الحرف الذى يراد إدغامه حرفا واحدا على صورة الحرف الذى يدغم فيه ، فإذا تصير مثله حصل حينئذ مثلان ، وإذا حصل مثلان وجب الإدغام حكما إجماعيا " [٦].

وهذا يعنى النطق بالحرفين حرفا كالثانى مشددا ، بل يترتب على ذلك أن يقوى الحرف المدغم فيه ، ويخفى المدغم فيسكن ، كما سكنت التاء هنا لإدغامها ، وقبلها الخاء ساكنة ، فنقلت الحركة إليها حركة الفتحة ، وقلبت التاء طاء ، فأدغمت فى الطاء ، فصارت يخطَّفُ [٧]

---

١ – انظر : المدخل إلى علم اللغة : ص ٥٩ ، والدراسات الصوتية عند العلماء العرب : ص ٧٦ .
٢ – سر صناعة الإعراب : ٢٤٧/١ .
٣ – علم الأصوات : د . كمال بشر ، دار غريب – القاهرة ص ٣٨٧ .
٤ – أصوات اللغة العربية : ص ١٥٦ .
٥ – المحتسب : ١٤٠/١ .
٦ – التمهيد فى علم التجويد : ابن الجزرى ، مؤسسة قرطبة – القاهرة ، ط (٢٠٠٣) ص : ٢٥ .
٧ – وهذا من قبيل الإدغام الصغير الذى يسكن فيه الحرف الأول (الطاء الأولى) فتدغم فى الطاء الثانية. على أنهما مثلان متحدان فى المخرج والصفة. انظر أصوات اللغة العربية : ص ٢٣٨ .

وهذا النوع من الإدغام الذى سكن فيه الحرف الأول ، وحرك الثانى ، إدغام واجب [١]. هذا ، وقد أشار السمين الحلبي إلى تلك القراءة التي أوردها ابن مجاهد ، قال: " يخطف ، بفتح الياء والخاء والطاء مع تشديد الطاء، والأصل يختطف ، فأبدلت تاء الافتعال طاء للإدغام" [٢].

كما نقل ابن مجاهد حكاية الفراء أن بعض أهل المدينة يسكنون الخاء والطاء ويشددون فيجمعون بين ساكنين[٣] ، غير أنه نفى علمه برواية هذه القراءة ، الامر الذى استوجب ردها ، قال: " ولا نعلم أن هذه القراءة رويت عن أهل المدينة " [٤].

وعبارة ابن مجاهد هذه لا تحسم الأمر لعدة وجوه :

الأول : أن انتفاء علمه بهذه الرواية لا يعكس – بالتأكيد – انتفاء روايتها ، وقد رأينا البعض فى (إعراب القرآن) يثبت هذه الرواية نقلا عن الفراء .

الثانى : أنه ما دام للقراءة مسوغ لغوى فما يمنع من طرحها ؟ .

وقد شرع ابن جنى يفند مصوبا هذه القراءة ، ويؤصل لنطقها ، غير أنه حمل ما أجازه الفراء من اجتماع ساكنين ، وما يترتب على ذلك من تحقيق الإدغام ، على أنه اختلاس وإخفاء لا إدغام ، "إخفاء للحركة

---

١ – التمهيد فى علم التجويد. ص ٢٥

٢ – الدر المصون: ١٧٨/١

٣ – المحتسب : ١٤٢/١ .

٤ – إعراب القرآن : ١٩٦/١ .

وإضعاف للصوت " [١]. وكأن ابن جنى يريد أن يقول : إن القراءة ها هنا وسط بين الفتح (يخطَف) والإدغام الكامل (يَخَطَّفُ) وهو ما عبر عنه بالاختلاس ، وربما قصد من وراء إضعاف الصوت هنا أيضا عدم نطقه بالإدغام كاملا .

واستدل على ذلك بقول رؤبة بن العجاج :

وَمَسْحِه مَرٌّ عقابٍ كاسرِ [٢]

كما أنشده سيبويه شاهدا على إدغام الهاء فى الحاء بلفظ

كأنها بعد كلال الزاجر ومسحى مرٌّ عقابٍ كاسرِ

يريدون : ومَسْحه [٣].

والشاعر هنا يذكر ناقة ، يقول فيها : كأنها بعد طول السير وكلال الزاجر لها ليستحثها على السير، عقاب كسرت جناحيها ، وقبضتهما بعد انقضاضها ، والمسح هنا عبارة عن ذرع الأرض بالسير[٤].

قال فى اللسان : " يريد ومَسْحِهِ ، فأخفى الهاء " [٥].

---

١ – المحتسب : ١٤٢/١ .

٢ – البيت باللسان : ٣٨٧٤/٥ كسر ، وصدره (كأنها بعد كلال الزاجر) أراد : كأن مرها مر عقاب .

٣ – الكتاب : ٤٥٠/٤ ، والشاهد فيه إخفاء الهاء فى (ومسحه) وسيبويه يسميه إدغاما ، وهو يعنى الإخفاء ، لأن الإخفاء عنده ضرب من الإدغام .

٤ – الكتاب : هامش ٤٥٠/٤ ، وانظر هامش المحتسب : ١٤٢/١ .

٥ – اللسان : ٣٨٧٤/٥ كسر .

قال ابن جنى : " قال سيبويه كلاما يظن به فى ظاهره أنه أدغم الحاء فى الهاء ، بعد أن قلب الهاء حاء ، فصارت فى ظاهر قوله : (ومَسْحٍّ) واستدرك أبو الحسن ذلك عليه ، وقال : إن ذلك لا يجوز إدغامه لأن السين ساكنة ، ولا يجمع بين ساكنين ، (السين ثم الحاء الأولى من الحاء المشددة) قال : فهذا لعمرى تعلق بظاهر لفظه ، فأما حقيقة معناه فلم يرد محض الإدغام " [١].

وهذا ما أكد عليه ابن جنى مرة أخرى فى كتاب (المحتسب) إذ يقول: " ويا ليت شعرى كيف يجوز لذى نظر ، أو من يخلد على أدنى تفكير أن يدعى أن هنا إدغاما ، أو أن تجمع بين ساكنين"[٢].

بل لجأ ابن جنى إلى علم العروض لتقرير هذه الحقيقة التى اقتنع بها إلى حد بعيد ، قال : " ألا ترى إلى قوله (ومسحهى) مفاعلن ، فالحاء مقابل بها عين (علن) والعين أول الوتد [٣]، وهى كما ترى وتعلم محركة ، أفيقابل فى الوزن الساكن بالمتحرك ؟ " [٤].

لا ، بل الساكن بالساكن ، والمتحرك بالمتحرك .

فـ (وَ مَ سْ حِ هِ ى ْ) تقابل : مَ فَ ا عِ لُ نْ

---

١ – السابق : كسر ٣٨٧٤/٥. وهو نفس ما نص عليه ابن جني في سر صناعة الإعراب ٦٥/١ .

٢ – السابق .

٣ – والوتد هنا وتد مجموع ، وهو ما تكون من حركتين بعدهما ساكن . انظر موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع : د . شعبان صلاح ، دار الثقافة العربية – القاهرة ، ط (٢) ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م ، ص ١٣ .

٤ – المحتسب : ١٤٣/١ ، وانظر سر صناعة الإعراب : ٦٥/١ .

فالحاء المتحركة تقابل العين المتحركة ، ومن ثم فلا إدغام .

ثم اعترض ابن مجاهد على قراءة مجهاد والحسن (يَخْطِفُ) قال : " ولم يبلغنا أن أحدا قرأ (خطف) بفتح الطاء ، فيقرأ هذا الحرف (يخطِـف) وأحسب أن هذا غلط ممن رواه " [١].

وقد أكد الأخفش توجيه ابن مجاهد فقال – تعقيبا على القـراءة – : " وهى قليلة رديئة لا تكاد تعرف " [٢].

وإلى مثل هذه اللغة الردئية أشار ابن منظور فى اللسان ، وذلك فـى مواجهته اللغة الجيدة ، بفتح الطاء فى المضارع ، خطِف يخطف خطفا [٣]، وباللغة الرديئة قرأ يونس (يخطِف أبصارهم) وأكثر القراء قرءوا (يخْطَفُ) من خطِف يخطف ، قال الأزهرى : وهى القراءة الجيدة [٤].

وهذه العبارة للأزهرى لا تعكس سقوط هذه اللغة ، بقدر ما تثبتها لغة أخرى إلى جوار لغة الفتح ، وهذا ما نص عليه الأزهرى حين قال : " خطِف يخطَف ، وخطِف يخطِف لغتان " [٥].

---

١ – السابق. لم أقف على شيء من هذا في كتاب (السبعة) لابن مجاهد .

٢ – معانى القرآن : الأخفش (سعيد بن مسعدة) . تحقيق : د . عبدالأمير محمد أمير الورد ، عالم الكتب – بيروت ، ط (١) ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م ٢٠٩/١ .

٣ – لسان العرب : ١٢٠٠/٢ خطف .

٤ – السابق ، وانظر معانى القرآن للأخفش : ٢١٠/١ . وفي معاني القراءات للأزهـري ص ٤٦ :" وهي لغة العالية التي عليها أكثر القراء " .

٥ – لسان العرب : ١٢٠٠/٢ خطف .

٨- كما اختلفوا فى قوله – تعالى- :﴿ وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ ﴾ الروم: ٩

فقد روى الواقدى عن سليمان عن أبى جعفر ﴿ وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ ﴾ ا ممدودة، فاعترض ابن مجاهد على هذه القراءة ، قائلا : " ليس هذا بشيء " .

قال أبو الفتح : " ظاهره لعمرى منكر ، إلا أن له وجها ما ، وليس لحنا مقطوعا به ، وذلك أنه أراد : وأثاروا الأرض ، أى : شققوها للغرس والزراعة ، وهو (أفْعَلوا) من قول الله – سبحانه – ﴿ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ ﴾ البقرة: ٧١

إلا أنه أشبع الفتحة – فتحة الهمزة – فأنشأ عنها الفا ، فصارت (آثاروا) وقد ذكرنا ذلك وشواهده فى نحو قول ابن هَرْمة ، وهو من الوافر:

فأنت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنتزاح

يريد : بمنتزح ، مُنْفَعَل من النازح ، فأشبع فتحة الزاى ، فأنشا عنها ألفا وهذا لعمرى مما تختص به ضرورة الشعر ، لا تخير القرآن " [١].

فهنا استعرض ابن جنى قراءة أبى جعفر : ﴿ وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ ﴾ ممدودة، وقد اعترض ابن مجاهد على هذا المد فقال : " ليس هذا بشيء "[٢].

ثم عاود ابن جنى دفاعه عن هذه القراءة ، لا من باب أنها قراءة مقبولة مرضية ، بل من باب أن لها وجها ما ، وليس لحنا مقطوعا به ، وذلك أنه أراد : وآثاروا الأرض ، أى : شققوها للغرس والزراعة ، وهو

---

١ – المحتسب : ٢٠٦/٢ .

٢– المحتسب : ٢٠٦/٢ . ولم أقف على هذه القراءة في كتاب السبعة ، بل لم يتعرض لها ابن مجاهد أصلا.

(أفعلوا) من قول الله – سبحانه – (ذلول تثير الأرض) [١] إلا أنه أشبع فتحة الهمزة فأنشأ عنها ألفا ، فصارت : آثاروا [٢]. ثم شرع ابن جنى فى طرح بعض شواهده .

فأنت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنتزاح [٣].

يريد : بمنتزح ، منفعال من النازح ، فأشبع فتحة الزاى ، فأنشأ عنها ألفا ، وهذا مما تختص به ضرورة الشعر لا تخير القرآن [٤].

ثم أكد ابن جنى على هذا الفهم فى كتابه (الخصائص) ، فقال : " وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها ، فتنشيء بعد الفتحة الألف ، وبعد الكسرة الياء ، وبعد الضمة الواو " [٥].

ولم يتوقف فى الخصائص على شاهد ابن هرمة ، الذى ساقه فى (المحتسب) بل دعمه بشواهد أخرى ، كشاهد عنترة :

---

١ – انظر اللسان : ٢٥٣/١ ، وتاج العروس : ١٩٤/٢ ثور .

٢ – المحتسب : ٢٠٦/٢ .

٣ – البيت من الوافر وهو لابن هرمة ، وقد ورد فى الخصائص (٣٤٨/٢) وسر صناعة الإعراب : ٣٥/١ ، وأساس البلاغة : للزمخشرى ، دار صادر / بيروت ، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م ، ص ٦٢٧ نزح ، ولسان العرب : نزح ، وتاج العروس : ١٣٩/١ نزح ، مع الأخذ فى الاعتبار أن كل الشواهد المشار إليها ذهبت مذهب ابن جنى فى تقدير المطل الذى أصاب كلمة (منتزح) ، إلا أن الزبيدى خطأ الجوهرى فى نسبته هذا البيت إلى الرثاء ، قال : " هو سهو منه " وإنما يمدح القاضى جعفر بن سليمان الهاشمى . تاج العروس : ١٣٩/١٠ نزح .

٤ – المحتسب : ٢٠٦/٢ .

٥ – الخصائص : ٣٤٨/٢ .

ينباع من ذفْرَى عَضُوبٍ جَسرةٍ [١].

بل ساق قولا للأصمعى يدعم به مذهبه : " وقال الأصمعى : يقال : انباع الشجاع ، ينباع انبياعا، إذا انخرط بين الصفين ماضيا " [٢].

بل عقد ابن جنى لمطل الحركات فصلا كاملا فى (الخصائص) سماه (باب فى مطل الحركات)[٣] يدلل به على ذراعه السامقة فى هذا الفن .

٩- ومما اختلف فيه الفريقان صوتيا قوله -تعالى- :﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الحديد: ٢٩

فقد قرأها الحسن : (لَيْلا) بنصب اللام ، وبجزم الياء ، ولا يهمز ، وهذا ما أقره ابن مجاهد[٤].

قال ابن جنى: "حكاها قطرب، فيما رويناه عنه – (ليلا) بكسر اللام، وسكون الياء ، وقال : حذف همزة أن ، وأبدل النون ياء هكذا قال" [٥].

---

١ – هذا صدر بيت من الكامل . وعجزه : (زيافة مثل الفنيق المكدم) . والذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن ، وغضوب جسرة : أوصاف لناقته ، يقال : ناقة جسرة ومتجاسرة ، أى : ماضية ، وقيل طويلة ضخمة . انظر الخصائص : ٣٤٨/٢ ، وسر صناعة الإعراب : ٢٩٧/١ ، واللسان : ٤٣٢٦/٦ نبع . والشاهد فيه أنه إنما " أراد (ينبع) فأشبع فتحة الباء للضرورة ، فنشأت بعدها ألف " . الخصائص : ٣٤٨/٢ ، ولسان العرب (نبع) .

٢ – الخصائص : ٣٤٨/٢ ، بل أعقب عبارة الأصمعى بشاهد السفاح بن بكير اليربوعى ، وهو من السريع:

يطرق حلما وأناة معا ثمت ينباع انبياع الشجاع

ـ فينباع هذه كسابقتها ، والشجاع : الحية للذكر ، انظر الخصائص : ٣٤٨/٢ – ٣٤٩ ، واللسان : نبع .

٣ – الخصائص : ٣٤٨/٢ – ٣٥١ .

٤ – المحتسب : ٣٦٤/٢ .

٥ – السابق . وانظر: الدر المصون: ٢٥٩/١٠ .

ثم قضى ابن جنى بترجيح رواية قطرب ، قائلا : " وما ذكره قطرب من الكسر أقرب ، وذلك أنه إذا حذف الهمزة بقى بعد ذلك (لـنْلا) فيجب إدغام النون فى اللام ، فيصير اللفظ (للَّا) فتجتمع اللامات ، فتبدل الوسطى لإدغامها وانكسار ما قبلها ، فتصير ليلا " [١].

وهنا تعارض رأيا ابن مجاهد وقطرب ، حول هذه الآية ، وقراءة الحسن،: (ليلا يعلم أهل الكتاب) بنصب اللام ، وبجزم الياء ، وبغير همز[٢].

وقد وافق ابن مجاهد الحسن فى قراءته تلك ، فحكى ابن مجاهد قراءته ، كقراءة الحسن – بفتح اللام وسكون الياء [٣]. ثم أدلى قطرب برواية نقلها ابن جنى : (لِيْلا) بكسر اللام وسكون الياء ، ثم حذف همزة (أن) وإبدال النون ياء [٤].

وما كان من ابن جنى إلا أنه رجح قراءة قطرب على قراءة ابن مجاهد، ومن قبله الحسن ، فقال : " وما ذكره قطرب من الكسر أقرب " [٥].

ثم شرع ابن جنى يؤصل لقراءة قطرب ، بحذف الهمزة أولا ، فتصير الكلمة بعدها (لنلا) ثم بإدغام النون فى اللم ، فيصير اللفظ (لِلَّا) فتجتمع اللامات ثم تبدل اللام الوسطى ياء لإدغامها وانكسار ما قبلها فتصير (ليلا)[٦]. وتقدير المعنى عند الزمخشرى : لئلا يعلم ، أى : ليعلم اهل

---

١ – المحتسب: ٣٦٤/٢ ، وانظر: الدر المصون :٢٦٠/١٠ .
٢ – السابق .
٣ – السابق
٤ – السابق .
٥ – المحتسب: ٣٦٤/٢.
٦ – االسابق.

الكتاب، الذين لم يسلموا ، وهذا التأويل مبنى على أســاس أن (لا) هنــا مزيدة .

كما ذهب إلى أن (أن) ها هنا المخففة من الثقيلة ، ولذلك جاء الفعل بعدها مرفوع بثبوت النون ، وأصله : أنه لا يقدرون ، يعنى أن الشــأن لا يقدرون [١].

وهذا مذهب الفراء أيضا ، فــ (لا) هنا معناها السقوط من الكــلام ، إذ " العرب تجعل (لا) صلة فى كل كلام دخل فى آخره جحد أو فى أولــه جحد " [٢].

وعلى هذا فهى زائدة فى قولــه – تعــالى – : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ الأعراف: ١٢ والدليل على زيادتها هنا ، ودليل سقوطها قوله – تعــالى –: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ ﴿٧٥﴾ ﴾ ص: ٧٥ [٣].

ثم جاء أبو حيان وفرع على الآية فروعا :

الأول: ما ذهب إليه سابقوه من أن (لا) زائدة إذ يقول: "أصله لأن يعلم"[٤].

والثانى : متابعة ابن جنى فى تأصيله لقــراءة قطــرب ، بكســر الــلام ، وسكون الياء ، وتوجيهه : حذف الهمزة اعتباطا ، ثم إدغام النون فى اللام ، فاجتمعت الأمثال وثقل النطق بها ، فأبدلوا من الساكنة يــاء ، فصارت (ليلا) [٥].

---

١ – الكشاف : ١٦٦/٣ .

٢ – معانى القرآن : ١١٠٥/٣ .

٣ – انظر : معانى القرآن للفراء : ١١٠٦/٣هامش ، ومعانى القرآن للأخفش : ٧٠٥/٢ .

٤ – البحر المحيط : ٢٢٩/٨ .

٥ – السابق .

الثالث : أنه لم ير مزيد فرق بين قراءتى ابن مجاهد وقطرب سوى فتح اللام عند ابن مجاهد ، وكسرها عند قطرب – وهما فيما سوى ذلك – متكافئان فى النص والتأويل ، إلا أن أبا حيان قد حمل كسر اللام ، على اللغة الشهيرة فى لام الجر ، وحمل فتحها على أنه لغة فى الكلام [١].

كما أشار النحاس إلى زيادة (لا) فى الآية للتوكيد ، ورصد عدة قراءات للآية : لسعيد بن جبير عن ابن عباس ، ولعاصم الجحدرى عن ابن مسعود ، كلها محمولة على زيادة (لا) [٢]. كما أقصى أبو جعفر النحاس قراءة الحسن برفع الميم من قوله – تعالى – : (لئلا يعلم) قائلا : " ومن الشواذ أنه روى عن الحسن أن قرأ : (لئلا يعلم أهل الكتاب) بالرفع [٣].

وعليه فلا فرق بين قراءة ابن مجاهد وقراءة قطرب سوى حركة اللام، بالفتح فى قراءة ابن مجاهد ، وبالكسر فى قراءة قطرب ، وقد حملها أبو حيان على اختلاف اللغات بما لا يشكل خطئا عن هذا أو ذاك ، مع الأخذ فى الاعتبار ان كسر اللام ، إنما هو اللغة الشهيرة فى لام الجر ، كما ذكر أبو حيان ، وكما أشار ابن هشام[٤] .

---

١ – انظر : البحر المحيط : ٢٢٩/٨ ، وقد أشار ابن هشام إلى كسر لام الجر ، وفتح اللام الزائدة ، انظر مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام ، تحقيق ج : الفاخورى ، دار الجيل – بيروت ط(٢) ١٤١٧ هـ = ١٩٩٨م ، ٣٤٨/١ ، ٣٥٨ .

٢ – انظر : إعراب القرآن : ٣٦٩–٣٧٠ .

٣ – إعراب القرآن : ٣٦٩–٣٧٠ .

٤ – انظر : مغنى اللبيب : ٣٤٨/١ .

المستوى الصرفي

وهو مستوى يقوم على ما تؤديه الأوزان الصرفية من معان ، وهو ما يعنى من وجه آخر الدلالة الصرفية.

وقبل استعراض مظاهر هذه الدلالة تجدر الإشارة إلى مدى العلاقة بين الصوت والصرف، فقد " ظل البحث الصوتى عند كبار النحاة العرب جزءا مكملا للبحث الصرفى " [١].

وكذلك العلاقة بين الصوت والنحو إن لم تكن فى تلك المرتبة فلا تقل عنها .

وإذا كان المستوى الصرفى يختص بدراسة التغيرات التى تطرأ على أبنية الألفاظ فتؤدى معان جديدة ، فإن هذه التغيرات هى وحدات صوتية سابقة (يكتب) أو لاحقة (كتبت) أو داخلة (كاتب)وبهذا يتعين ارتباط الدرس الصوتى بالدرس الصرفى ، والدرس الصرفى مقدمة للدرس النحوى،لأن اهتمام الصرف ببنية الكلمة إنما هو من أجل توظيفها فى تركيب نحوى [٢].

وإذا كانت الدلالة الصرفية تقوم على ما تؤديه الأوزان الصرفية من معان ، فلا يكفى لبيان معنى (استغفر) بيان معناها المعجمى المرتبط بمادتها اللغوية ، (غ ف ر) بل لا بد أن يضم إلى ذلك معنى الصيغة ، وهى هنا وزن (استفعل) أو الألف والسين والتاء التى تدل على الطلب [٣].

١- البحث اللغوى : د . محمود فهمى حجازى ، دار غريب- القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ١٦ .

٢- علم الدلالة والمعجم العربى: د. عبدالقادر أبو شريفة، دار الفكر – الأردن ، ص٣٣-٣٤

٣- علم الدلالة: د . أحمد مختار عمر، عالم الكتب – القاهرة ، ط (٥) ١٩٩٨م ، ص ١٣ .

وعليه فجملة اعتراضات ابن مجاهد على ابن جنى فى باب الصرف إنما تخضع فى جملتها لما سبق بيانه من دور الدلالة الصرفية ، وإليك الاعتراضات على مستوى الصرف .

١-قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ البقرة: ٨٧

قال ابن جنى : " ومن ذلك ما رواه ابن مجاهد عن أبى عمرو : (وآيدناه) قال ابن مجاهد : ممدود الألف ،خفيفة الياء،وقد رُوى عن مجاهد فى قوله : ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ ﴾ المائدة: ١١٠

آيدتك . قال ابن مجاهد: "على فاعلتك " [١].

قال ابن جنى : " هذا الذى توهمه ابن مجاهد – أن (آيدتك) فاعلتك – لا وجه له ، وإنما (آيدتك) أفعلتك من الأيد ، وهو القوة " [٢].

خلاصة القول أن الدلالة هنا يتقاسمها فعلان :

الأول : آد يئيد أيدا ، إذا اشتد وقوى ، والتأييد مصدر أيدته ، أى : قويته ، والفعل هنا على وزن (فعَّلْته) [٣] . وعلى غرار ما ذهب إليه ابن مجاهد[٤] .

---

١ – المحتسب : ١٧٩/٢ . وقد نسب ابن مجاهد تخفيف الدال من (وأيدناه) إلى ابن كثير وحده. انظر السبعة ص ١٦٣ .

٢ – المحتسب : ١٧٩/٢

٣ – لسان العرب : ١٨٨/١ أيد .

٤ – انظر : المحتسب : ١٧٩/١ .

والثانى : آيدَ يؤْيدُ إياد ، إذا صار ذا أيدٍ ، تقول منه : آيدته على أفعلته فهو مؤيد [١].

وكأن الهمزة الأولى همزة أفعل ، والثانية فاء الفعل (أفعل يفعل إفعالا) وذلك إذا صار ذا أيد، تقول منه : آيدته على أفعلته فهو مؤيد [٢].

هذا وقد ذكر الزمخشرى فى تفسيره ما يرجح قول ابن جنى ، قال : " وقرئ (وأيدناه) ومنه : (آجده) بالجيم ، إذا قواه ، يقال : الحمد لله الذى آجدنى بعد ضعفى ، وأوجدنى بعد فقر " [٣]. وكأن (آجد) على وزن (أفعل) فالهمزة الأولى همزة التعدية ، والفعل (آجد) أو (آيد) على وزن أفعل .

هذا ، وقد استعرض الجوهرى فى الصحاح هذا الفعل ، فقال : " تقول منه (أيَدْتُه) على (أفعلته) فهو مؤيد " ، وهذا لا يستقيم بحال عند وزن الكلمة ، و (أيَدْتُه) على وزن (فعلته) [٤]. ولذلك فقد أورد ابن القوطية الفعل (آيد) فى الرباعى ، فقال : " آيدت الشيء شددته " [٥].

---

١ – لسان العرب : ١٨٨/١ أيد

٢ – السابق .

٣ – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل : الزمخشرى ، المطبعة الأميرية ، ١٣١٨هـ ١/٢٢٣.

٤ – انظر الصحاح : الجوهرى ، دار إحياء التراث العربى – بيروت ، ط (١) ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩م : ٣٨٦/٢أيد .

٥ – الأفعال : ص ١٦٣ الرباعى ، حرف الهمزة .

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ ﴾ البقرة: ١٣٣

وهنا أورد ابن مجاهد قراءة ابن عباس والحسن يحيى بن يعمر وعاصم الجحدرى وأبى رجاء: (وإله أبيك) بالتوحيد [١].

قال ابن جنى : " قول ابن مجاهد بالتوحيد لا وجه له ، وذلك أن أكثر القراءة : (وإله آبائك) جمعا كما ترى . فإذا كان (أبيك) واحدا كان مخالفا لقراءة الجماعة فتحتاج أن يكون أبيك هنا واحدا فى معنى الجماعة ، فإذا أمكن أن يكون جمعا كان كقراءة الجماعة ، ولم يحتج فيه إلى التأول ، لوقوع الواحد موقع الجماعة ، وقرين ذلك أن يكون (أبيك) جمع أب على الصحة ، على قولك للجماعة : هؤلاء أبون أحرار ، أى : آباء أحرار ، وقد اتسع ذلك عنهم . هذا، وقد نص السمين الحلبي على هذه القراءة، بل أصل لها قائلا: " وأما قراءة (أبيك) فإما أن يكون واقعا موقع الجمع أو لا، فإن كان واقعا موقع الجمع فالكلام في (إبراهيم) وما بعده كالكلام فيه على القراءة المشهورة، وإن لم يكن واقعا موقعه ، بل أريد به الإفراد لفظا ومعنى ، فيكون (إبراهيم) وحده على الأوجه الثلاثة المتقدمة [٢]. ويكون إسماعيل وما بعده عطفا على (أبيك) ، أي: وإله إسماعيل.

الثاني: يكون جمع سلامة بالياء والنون، وإنما حذفت النون للإضافة، وقد جاء جمع (أب) على أبون رفعا وأبين نصبا وجرا حكاها سيبويه" [٣] .

١- المحتسب : ١٩٩/١ .ولم أقف على هذه القراءة في كتاب السبعة.

٢- والمقصود بالأوجه الثلاثة : البدل ، وعطف البيان، والنصب بإضمار أعني. انظر : الدر المصون :١٣٠/٢ .

٣- السابق : ١٣١/٢ .

ومن أبيات الكتاب :

فلما تبين أصواتنا بكين وفدَّيْننا بالأبينا " [١].

وهنا وقع الخلاف حول كلمة (أبيك) فقد أقرها ابن مجاهد بالتوحيد ، غير أن هذا الإقرار من ابن مجاهد لم يحظ بالقبول عند ابن جنى ، لماذا ؟

لأن أكثر القراءة : (وإله آبائك) بالجمع .

ولا مخرج عند ابن جنى إلا من طريق قراءة الجمع ، أو أن يكون (أبيك) هنا مفردا فى معنى الجماعة ، فإذا أمكن ذلك فلسنا فى حاجة إلى تأويل " فطريق ذلك أن يكون (أبيك) جمع أب على الصحة ، على قولك للجماعة : هؤلاء أبون أحرار ، أى : آباء أحرار ، وقد اتسع ذلك منهم ، ومن أبيات الكتاب :

فلما تبين أصواتنا بكين وفدينا بالأبينا [٢].

هذا ، وقد عمد النحاس إلى شيء من التفنيد ، خلاصته أن قراءة التوحيد (أبيك) لها وجهان عند من قرأ بها :

الأول : أن يكون أفرد ، لأنه كره أن يجعل اسماعيل أبا ، لأنه عم ، وقد رد أبو جعفر هذا التأويل

---

١ – المحتسب : ١٩٩/١ .

٢ – المحتسب : ١٩٩/١ ، والبيت لزياد بن واصل السلمى ، وهو من المتقارب من أبيات يفخر فيها بآباء قومه من بنى عامر ، وأنهم قد أبلوا فى حروبهم ، فلما عادوا إلى نسائهم ، وعرفن أصواتهم ، فدينهم ، لانهم أبلوا فى الحروب .

" لأن العرب تسمى العم أبا ، وأيضا فإن هذا بعيد ، لأنه يقدر : وإله إسماعيل ، وإله اسحاق ، فيخرج هو وأبوه الأدنى من نسب إبراهيم ، ففى هذا من البعد ما لا خفاء فيه " (١).

والثانى : إنما هو مذهب سيبويه ، الذى سبقت الإشارة إليه ، قال : " وفيه وجه آخر على مذهب سيبويه ، يكون (أبيك) جمعا ، حكى سيبويه : أبون وأبين " (٢).

وقد أكد ابن جنى مذهبه بقوله : " ويؤكد أن المراد به الجماعة ما جاء بعده من قوله تَعَالَىٰ: ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ البقرة: ١٣٣

فأبدل الجماعة من أبيك ، فهو جماعة لا محالة ، لاستحالة إبدال الأكثر من الأقل فيصير قوله – تعالى : (وإله أبيك) كقوله : (وإله ذويك) هذا هو الوجه وعليه فليكن العمل " (٣).

وجمع الباب أشار إليه ابن منظور فى اللسان(٤) ، ولما أجاز المبرد – ابى وأخى وحمى ، وذلك إذا أضيفت الكلمة إلى ياء المتكلم ، محتجا بقول الشاعر ، وهو من الكامل :

قدر أحلك ذا المجاز وقد أرى وأبى مالك ذو المجاز بدار (٥).

---

١ – إعراب القرآن : ٢٦٥/١ .
٢ – السابق .
٣ – المحتسب : ٢٠٠/١ .
٤ – لسان العرب : أبا .
٥ – والشاعر هو مؤرج السلمى من شعراء الدولة الأموية . انظر : أمالى ابن الشجرى ، تحقيق ودراسة د . محمود محمد الطناحى ، مكتبة الخانجى – القاهرة / ط (٣) ١٤٢١هـ = ٢٠٠١ / ، ٢٣٦/٢ .

لما أجاز المبرد ذلك ، منع منه أبو على ، وقال : " إن أبى فى البيت جمع (أب) على لغة من قال فى جمعه (أبون وأبين) واحتج بالشاهد الذى سبق أن احتج به ابن جنى [١].

وكأن هذين الجمعين لا خلاف عليهما فى الأوساط اللغوية .

٣- ومما اختلف فيه ابن جنى وابن مجاهد قولهتَعَالَىٰ:﴿ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ البقرة: ٢١٠

وبالتحديد وقع الخلاف حول قراءة قتادة (فى ظلال من الغمام) فقد ذهب ابن مجاهد إلى أن (ظلال) جمع (ظل) فى حين ذهب ابن جنى إلى أن (ظلال) جمع (ظلة) ، كخلة وخلال ، وقلة وقلال [٢].

ويمكن – بعد الاستعانة بمعطيات المعاجم ، على اختلافها – حسم هذا الخلاف .

قال الراغب: "والظلل جمع ظلة، كغرفة وغرف، وقربة، وقرب " [٣].

كذلك ، وقد أشار الراغب إلى القراءة الثانية ، قال : " وقريء : فى ظلال ، وذلك إما جمع (ظلة) نحو : غلبة وغلاب ، وحفرة وحفار [٤]، وإما

١- وهو شاهد زياد السلمى ، المشار إليه سابقا .

٢- المحتسب : ٢١١/١ . لم أقف على هذه القراءة في كتاب (السبعة) وهي قراءة أبيّ وقتادة والضحاك . انظر: الدر المصون: ٣٦٤/٢ .

٣- المفردات فى غريب القرآن : الراغب الأصفهانى ، المطبعة الميمنية بمصر ، ص ٣٧٠ ، ظلل .

٤- السابق . وقد أشار السمين الحلبي إلى هذه القراءة، ونص على أن (ظلال) جمع (ظلة) . انظر: الدر المصون: ٣٦٤/٢ .

جمع ظل " [١] ولعلك تلمح قدرا من الخلط فى طرح الجموع والمفردات ، وفق معطيات الراغب .

وقال فى القاموس : " الظل – بالكسر – نقيض الضح ، والجمع ظلال وظلول وأظلال "[٢]، وهو ما ذهب إليه الراغب ، وهو مذهب يستقيم مع قول ابن مجاهد . ثم ذهب الفيروز آبادى إلى أن جمع (الظلة) ظلل وظلال [٣]، وهذا يستقيم وقول ابن جنى كما سبقت الإشارة إليه .

بل نص صاحب اللسان على ما ذهب إليه ابن مجاهد فقال : " وجمع الظل : أظلال وظلال وظلول"[٤]. بل تابعه على ذلك أيضا الزبيدى ، فالظل جمع جمع ظلال وظلول وأظلال [٥]. أما الظلة فهى شيء يستتر به من الحر والبرد ، والجمع (ظلل) – كغرفة وغرف – و (ظلال) كعلبة وعلاب[٦]. وهكذا جاء الجمع (ظلال) قاسما مشتركا بين المفردين (ظل) و (ظلة) وذلك فى بعض الاحيان .

ولو تركنا معاجم اللغة إلى كتاب (إعراب القرآن) لوجدناه يقر الجمعين – جمع ابن مجاهد وجمع ابن جنى – مع قليل من التمييز ، فـ (ظلل) جمع ظلة فى التكسير ، و (ظلال) جمع (ظل) فى الكثير ، وقيل

---

١ – وهذا السوق يوافق قول ابن جنى .

٢ – القاموس المحيط : الفيروز آبادى ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط (١) ١٤١٩ ه ـ = ١٩٩٩ م ، ٥٦٤/٣ – ٥٦٥ ظلل .

٣ – السابق : ظلل .

٤ – لسان العرب : ٢٧٥٣/٣ ظلل .

٥ – تاج العروس : ٥٤٦/٦ ظلل .

٦ – السابق .

ظلال جمع ظلة ، مثل قلة وقلال [١]. فجمع النحاس بين مرادى ابن مجاهد وابن جنى ، وإن كان الأشهر أن (ظلال) جمع (ظل) لكثرة المذاهب التى ترجح توجيه دفة الجمع (ظلال) نحو المفرد (ظل) .

٤- ومن اعتراضات ابن مجاهد على ابن جنى رده لقراءة أبى عبدالرحمن السلمى عن على بن أبى طالب : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ البقرة: ٢٣٤ . بفتح الياء .

قال ابن مجاهد : " ولا يقرأ بها " [٢] .

قال ابن جنى : " هذا الذى أنكره ابن مجاهد عندى مستقيم جائز ، وذلك أنه على حذف المفعول، أى : والذين يتوفون ايامهم أو أعمارهم أو آجالهم ، كما قال – سبحانه وتعالى- : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ ﴾ المائدة: ١١٧، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ النحل: ٢٨ [٣] .

فالخلاف هنا حول قراءة على – رضى الله عنه – : (والذين يتوفون منكم) بفتح الياء، فقد اعترض عليها ابن مجاهد، فقال: " لا يقرأ بها "[٤].

وأنا لا أدرى ما القصد من وراء عبارة ابن مجاهد : " لا يقرأ بها " ؟

---

١ – إعراب القرآن : للنحاس ، تحقيق : د . زهير غازى زاهد ، عالم الكتب – القاهرة ، ط (٢) ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م ، ٣٠١/١ .

٢ – المحتسب : ٢١٥/١ .ولم أجد هذا النص في كتاب السبعة.

٣ – السابق .

٤ – المحتسب : ٢١٥/١ .

ألكونها غير متواترة ، فلا تجوز الصلاة بها ، ولا يجوز التعبد بتلاوتها ؟ أم لكونها شاذة على المستوى اللغوى ؟ وإن كان الظاهر من رد ابن جنى أن ابن مجاهد يستنكرها على المستوى اللغوى .

بل وإن ابن جنى لم يقف بهذا المفهوم عند حد المحتسب وحسب ، بل رصدها فى كتابه (الخصائص) ممثلا بها – وبنظائرها من القرآن والشعر – لحذف المفعول ، قال فى الخصائص : " وقد حذف المفعول به ، نحو قوله – تعالى – : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ النمل: ٢٣، أى : أوتيت منه شيئا ، وعليه قوله – سبحانه وتعالى – :﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ النجم: ٥٤ ، أى : غشاها إياها ، فحذف المفعولين جميعا " [١].

ثم احتج بشاهد الحطيئة :

منعمة تصون إليك منها كصونك من رداء شرعبى

أى : تصون الكلام منها ، وهو كثير جدا [٢].

وقد رد ابن جنى اعتراض ابن مجاهد بقوله : " هذا الذى أنكره ابن مجاهد عندى مستقيم جائز ، وذلك أنه على حذف المفعول " [٣].

---

١ – الخصائص : ابن جنى ، تحقيق : د . عبدالمجيد هنداوى ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط(٢) ٢٠٠٣م=١٤٢٤هـ ، ١٥١/٢ .

٢ – البيت من الوافر ، يمدح فيه الحطيئة عدى بن فزارة ، وعيينة بن حصن ، وحذيفة بن بدر . أراد أنها فى خصب ونعمة ، وقوله (تصون إليك) أى : تحفظ عندك سرها وحديثها ، لا تبوح به ، كما تصون رداء شرعبيا ، والشرعبية : برود فيها خطوط طوال . المحتسب : ٢١٥/١-٢١٦ ، والخصائص : ١٥١/٢ .

٣ – وقد مر النص بتمامه فى التمهيد لهذا الاعتراض .

وما ذكره ابن جنى فى المحتسب ، ذكره الزمخشرى فى الكشاف [١]، وذكره أبو حيان فى البحر المحيط ، قال : " وقرأ الجمهور (يتوفون) بضم الياء ، مبنيا للمفعول ، وقرأ على والمفضل عن عاصم ، بفتح الياء، مبنيا للفاعل ، ومعنى هذه القراءة أنهم يستوفون أجالهم " [٢].

بل ورد ذكره فى هامش البحر المحيط : " وقرئ (يتوفون) مبنيا للفاعل ، ومبنيا للمفعول ، أى : يتوفاهم الله ، أو : يستوفون آجالهم " [٣].

ولو تركنا كتب التفسير إلى أحد مصنفات النحاة ، وهو شرح المفصل لابن يعيش ، لوجدناه يؤصل لحذف المفعول ، إذ يقول : " اعلم أن المفعول لما كان فضلة ، تستقل الجملة دونه ، وينعقد الكلام من الفعل والفاعل بلا مفعول جاز حذفه وسقوطه وإن كان الفعل يقتضيه " [٤].

وأضاف ابن عقيل أنه يجوز حذف الفضلة ، وهى ما يمكن الاستغناء عنه كالمفعول به ، إن لم يضر ، وعلى نحو ما ورد فى قوله – تعالى – : ﴿ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ ﴾ التوبة: ٢٩

---

١ – الكشاف : ٢٧٣/١ .

٢ – البحر المحيط : ٢٢٢/٢ .

٣ – البحر المحيط : ٢٢١/٢ . هذا ، وقد أشار السمين الحلبي – في هذه الآية – إلى ثمانية أوجه، أحدها ما نص عليه ابن جني ، وهو الوجه الأخير بفتح الياء، قال: " وقرأ أمير المؤمنين– علي– بفتح الياء ،على بنائه للفاعل ، ومعناها : يستوفون آجالهم ، قاله أبو القاسم الزمخشري" . الدر المصون: ٤٧٨/٢ .

٤– شرح المفصل : ٩٣/٢ ، وقد استعان ابن يعيش بجملة من الأمثلة حذف فيها المفعول فارجع إليها : ٩٤/٢

والتقدير حتى يعطوكم الجزية ، ومنه قوله – تعالى – :﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ ﴾ الليل: ٥

، وقوله – تعالى – :﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾ الضحى: ٥، فإن ضر حذف الفضلة لم يجز حذفها[١].

والآية – موضع البحث – لا يضر حذف المفعول فيها ، وقد قدره – بغير عناء – كل من تعرض لتأويل هذه الآية من المفسرين والنحاة ، بل ربما كان تقدير المفعول فيها أيسر من تقديره فى غيرها مما أشار إليه النحاة والمفسرون .

٥- ومن الآيات التى وقع حول إحدى رواياتها الاعتراض اللاحق ، قوله – تعالى – :﴿ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ ۝٢٤٨ ﴾ البقرة: ٢٤٨ .

قال ابن مجاهد : (التابوت) بالتاء ، قراءة الناس جميعا ، ولغة للأنصار (التابوه) بالهاء"[٢].

قال أبو الفتح :" أما ظاهر الأمر فأن يكون هذا الحرفان من أصلين: أحدهما (ت ب ت) والآخر (ت ب هـ) ثم من بعد هذا فالقول أن الهاء فى التابوه بدل من التاء فى التابوت " [٣].

---

١ – شرح ابن عقيل: دار الفكر– القاهرة، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد:١/٥٣٤ – ٥٤٤ .

٢ – المحتسب : ١/٢٢١ .وقد ذكر السمين الحلبي أنهم لما كتبوا المصاحف زمن عثمان– رضي الله عنه– اختلفوا فيه ، فقال زيد: بالهاء، وقال أبيّ: بالتاء ، فجاءوا عثمان فقال: اكتبوه على لغة قريش ، يعني بالتاء. انظر : الدرالمصون :٢/٥٢٣ .والنص لم يرد بكتاب السبعة.

٣ – السابق . والمشهور أن يوقف على تائه – أي: تاء التابوت – بتاء من غير إبداله هاء ، لأنه: إما أصل إن كان وزنه فاعولا ، وإما زائدة لغير التأنيث كملكوت ، ومنهم من يقلبها هاء ، وقد قرئ بها شاذا قرأها أبيّ وزيد بن ثابت . الدر المصون: ٢/٥٢٣ .

فابن مجاهد يقر لفظة (التابوت) جنبا إلى جنب مع كلمة (التابوه) بالهاء ، على أنهما لغتين، والأخرى للأنصار " [١].

أما ابن جنى فيراهما راجعين إلى أصلين مختلفين ، فالأولى (التابوت) من (تبت) والثانية (التابوه) من (تبه) ثم بعد ذلك يقع الإبدال ، إبدال الهاء فى التابوه من التاء فى التابوت

وبالعودة إلى المعاجم نرى ابن سيده فى اللسان يقر ما أقره ابن مجاهد ، فيذكر " التابوه لغة فى التابوت ، أنصارية " [٢]. بل أكد ابن منظور هذا القول مرة أخرى فى اللسان ، فقال : " التابوه لغة فى التابوت أنصارية"[٣] وكأن هذه العبارة مما اشتهر بين اللغويين أو المعجميين .

أما الزبيدى ، فقد أدرج لغة ثالثة ، وهى : " التَّبُوت – كصبور – لغة فى التابوت " [٤].

ثم ذكر كلاما لابن منظور خلاصته أن الشيخ أبا محمد بن برى قد أنكر على الجوهرى أنه أورد لفظ (التابوت) فى (توب) ، فقال : " إن الجوهرى أساء تصريفه حتى رده إلى تابوت .

قال: وكان الصواب أن يذكره فى فصل (تبت)، لأن تاءه أصلية ، وزنه فاعول " [٥].

---

١ – السابق .
٢ – لسان العرب : ٤١٥/١ تبت .
٣ – لسان العرب : ٤٢٠/١ (تبه)
٤ – تاج العروس : ١٣/٢ تبت .
٥ – تاج العروس : ١٣/٢ تبت ..

إذن فابن مجاهد قضى بما انتهى إليه أمر اللفظين ، فالتابوه لغة فى التابوت ، بإبدال التاء هاء، أما ابن جنى فقد أكد أولا على أن اللفظين راجعان إلى أصلين مختلفين (تبت) و (تبه) ثم بعد ذلك وقع الإبدال .

والبدل : " أن تقيم حرفا مكان حرف ، إما ضرورة ، وإما صنعة ، وإما استحسانا " [١].

وهو على ضربين :

أحدهما : إقامة حرف مكان حرف غيره ، نحو تاء تُخَمَة وتُكَأَة .

والثانى : قلب الحرف نفسه إلى لفظ غيره ، على معنى إحالته غليه ، وهذا إنما يكون فى حروف العلة ، التى هو الواو والياء والألف ، وفى الهمزة أيضا لمقاربتها إياها وكثرة تغيرها[٢]

وقد أصل ابن جنى لإبدال التاء هاء ، فكلاهما حرف مهموس [٣]، ومن حروف الزيادة فى غير هذا الموضع .

" وأيضا فقد أبدلوا الهاء من التاء التى للتأنيث فى الوقف ، فقالوا : حمزة وطلحة وقائمة وجالسة " [٤]. فهاء التأنيث تقرأ تاء فى الأصل ، وتبدل وتبدل هاء عند الوقف ، ويوقف عليها بالسكون المحض ، مثل : رحمة

---

١ – شرح المفصل : ١٥/١٠ .

٢ – السابق .

٣ – المحتسب : ٢١٥/١ ، وانظر سر صناعة الإعراب : ٦٧/١ ، ١٣٧ ، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربى : د . محمود السعران ، دار الفكر – القاهرة ، ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩م ، ص ١٢٩ ، وعلم الأصوات : د . كمال بشر ، دار غريب – القاهرة ، ص ٢٤٩ ، ٣٠٥ . والدراسات الصوتية عند العلماء العرب : د . حسام البهنساوى : ص ٧٦ ، ٨٣ .

٤ – المحتسب : ٢٢١/١ .

ونعمة [١]، فضلا عن " أن عامة عقيل فيما لا نزال نتلقاه من أفواهها ، تقول فى الفرات : الفراه ، بالهاء فى الوصل والوقف " [٢].

٦- ومن جملة اعتراضات ابن مجاهد على ابن جنى ، اعتراضه حول قوله - تعالى -قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ ﴾ البقرة: ٢٧٨.

فقد قرأها الحسن : (اتقوا الله وذروا ما بقِىْ من الربا) بكسر القاف ، وسكون الياء .

وروى ابن مجاهد عن أبى زيد بن أبى السمال : أنه كان يقرأ : (ما بقى من الرِّبُوْ) بتشديد الراء المكسورة مع ضم الباء وسكون الواو [٣].

قال ابن جنى : " فى هذا الحرف ضربان من الشذوذ :

أحدهما : الخروج من الكسر إلى الضم بناء لازما .

والآخر : وقوع الواو بعد الضمة فى آخر الاسم ، وهذا شيء لم يأت إلا الفعل ، نحو : يغزو ويدعو ويخلو ، وأما (ذو) الطائية التى بمعنى الذى ، نحو :

لأنتحيين للعظم ذو أنا عارقه

---

١ - انظر : بداية المريد فى فن التجويد : سيد مختار أبو شادى ، دار أعلام السلف - القاهرة ، ط(٢) ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م ، ص ٢٠٩ .

٢ - المحتسب : ٢٢١/١ .

٣ - المحتسب : ٢٣٦/١ . ولم أجد هذا النص في السبعة.

فشاذ ، وعلى أن منهم من يغير هذه الواو إذا فارق الرفع ، فيقول : رأيت ذا قام أخوه ، ومررت بذى قام أخوه " [١].

فهنا وقع الخلاف حول ما رواه ابن مجاهد عن أبى زيد عن أبى السمال ، أنه كان يقرأ : (ما بقى من الربو) مضمومة الباء ، ساكنة الواو، وفيه شذوذ من وجهين :

أحدهما : الخروج من الكسر إلى الضم بناء لازما .

والآخر : وقوع الواو بعد الضمة فى آخر الاسم [٢]، وقد جاء اعتراض ابن جنى هنا ممثلا فى أن وقوع الواو بعد الضمة لم يأت إلا فى الفعل ، نحو : يغزو ويدعو ويخلو [٣].

وردا على سؤال قد يثور فى خلد المتلقى بوقوع هذا فى (ذو) الطائية ، التى بمعنى الذى ، نحو : لأنتحين للعظم ذو أنا عارقه [٤].

فأجاب ابن جنى بأن هذا شاذ ، فضلا عن ورود هذه الكلمة بالألف فى حالة النصب ، نحو : رأيت ذا قام أخوه ، ووروده بالياء فى حالة الجر ،

---

١ – السابق : ٢٣٦/١ .

٢ – السابق .

٣ – السابق .

٤ – هذا عجز بيت من الطويل، وقد ورد بتمامه فى شرح المفصل (٢٦٨/٣)

لئن لم تغيره بعض ما قد صنعتم لأنتحين للعظم ذو أنا عارقه

ـــ والبيت لعارق الطائى ، واسمه قيس بن جروة الطائي ، وانتحاه قصده ، وذو بمعنى الذى فى لغة طيء ، والعارق : منتزع اللحم من العظم المحتسب : ٢٣٦/١ هامش . والشاهد فيه : جعل (ذو) بمعنى الذى ، ووصلها بالمبتدأ والخبر . شرح المفصل ٢٦٨/٣ . ويروى: لأنتحين للعظم ذو أنا عارقه .

نحو : مررت بذى قام أخوه [١]. وهذا عين ما نص عليه ابن يعيش ، قال : " وأما (ذو) فإن طيئا تقول : هذا ذو وقال ذاك ، يريدون الذى قال ذاك ، وهى (ذو) بمعنى صاحب ، نقلوها إلى معنى الذى ، ووصلوها بالجملة من الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر ، الذى توصل بها الذى ، وبنوها لاحتياجها إلى ما بعدها ، كما كانت الذى مبنية ، فقالوا : هذا زيد ذو قام ، ورأيت زيدا ذو قام ، ومررت بزيد ذو قام ، فيكون فى حالة الرفع والنصب والجر بالواو ، وهذه الواو عين الكلمة ، وليست علمة الرفع . وتقول : مررت بالمرأة ذو قامت ، وبالرجلين ذو قاما وبالرجال ذو قاموا ، يستوى فيه التثنية والجمع والمؤنث " [٢].

وكما نص ابن جنى على " أن منهم من يغير هذه الواو إذا فارق الرفع، فيقول : رأيت ذو قام أخوه "[٣] فقد نص كذلك ابن يعيش على " أن التى فى لغة طيء لا يجوز فيها ذا ولا ذى ، ولا تكون إلا بالواو " [٤]. وأضاف المحقق ، قائلا : " بعض الطائيين أعربها " [٥].

كما علل ابن جنى ما وقع فى (الربو) أنهم فخموا الألف انتحاء بها إلى الواو ، باعتبار أن الواو بدل من الألف ، على حد قولهم : الصلاة والزكاة ومشكاة ، وكأنه بين التفخيم فقوى الصوت ، فكان الواو أو كاد .

---

١ – المحتسب : ٢٣٦/١

٢ – شرح المفصل : ابن يعيش : ٢٦٧/٣ ، بتصرف يسير .

٣ – المحتسب : ٢٣٦/١ .

٤ – شرح المفصل : ٢٦٩/٣ .

٥ – السابق ، هامش ٢٦٩/٣ .

أما الشذوذ الأول وهو الخروج من الكسر إلى الضم بناء لازما [١]، فقد وقف أبو حيان عند هذه العبارة مفسرا ومعقبا ، يقول : " ويعنى بقوله : (بناء لازما) أنه قد يكون فى ذلك عارضا ، نحو (الحبك) فكسرة الباء ليست لازمة ، ومن قولهم (الرِّدُو) فى الوقف فضمة الدال ليست لازمة"[٢].

غير أن أبا حيان قد اعترض على عبارة ابن جنى : " وهذا شيء لم يأت إلا فى الفعل ، نحو: يغزو"[٣]، قائلا : " فهذا كما ذكر إلا أنه جاء ذلك فى الأسماء الستة فى حالة الرفع ، فله أن يقول: " لما لم يكن ذلك لازما فى النصب والجر ، لم يكن ناقصا لما ذكروا " وأضاف أبو حيان : " إن الضمة التى فيما قبل الآخر إنما هى للاتباع ، فليست ضمة تكون فى أصل بنية الكلمة ، كضمة يغزو " [٤].

وعلى المستوى الصوتى ، فإن جهاز الصوت قد يجد مشقة فى الانتقال من الكسر إلى الصم ، لأن نطق الكسرة يقتضى تصعيد مقدمة اللسان نحو وسط الحنك الأعلى ، بحيث يكون الفراغ بينهما كافيا لمرور الهواء ، دون أن يحدث فى مروره بهذا الموضع أى نحو من الاحتكاك والحفيف ، وجعلت الأوتار الصوتية تهتز مع ذلك ، عندئذ ينتج صوت الكسرة الخالصة " [٥].

أما صوت الضمة فإن يقتضى ارتفاع أقصى اللسان نحو سقف الحنك – لا مقدمته – كما فى حالة الكسرة – بحيث لا يحدث للهواء المار بهذه

---

١ – المحتسب : ٢٣٦/١ .
٢ –البحرا لمحيط : ٢٣٨/٢ .
٣ – المحتسب : ٢٣٦/١ .
٤ – البحر المحيط : ٢٣٨/٢ .
٥ – انظر : المدخل إلى علم اللغة : د . رمضان عبدالتواب ، ص ٩٣ – ٩٤ .

المنطقة أى نوع من الحفيف ، مع حدوث ذبذبة فى الأوتار الصوتية ، عندئذ ينتج عن ذلك صوت الضمة الخالصة [١].

وعليه ، فقد رجحت المتابعة رأى ابن جنى مقارنة بما ذهب إليه ابن مجاهد .

٨- ومما خالف فيه ابن جنى ابن مجاهد قوله – تعالى – : ﴿ فَضَحِكَتْ﴾ هود: ٧١

فقد رواها محمد بن زياد الأعرابى (فَضَحَكَتْ) بفتح الحاء ، خلافا لما يراه ابن جنى ، كما خالف ابن مجاهد فى تفسير الضحك بالحيض [٢]، وكان ابن مجاهد قد اعتمد هذا التأويل استنادا إلى جملة من الشواهد :

منها شاهد أبى ذؤيب الهذلى ، وهو من المتقارب :

ضحك الأرانب فوق الصفا مثل دم الجوف يوم اللقا

يعنى الحيض ، فيما زعم بعضهم [٣].

ومنها شاهد تأبط شرا :

تضحك الضبع لقتلى هذيل [٤].

---

١ – المدخل إلى علم اللغة : ص ٩٤ ، وانظر : أصوات اللغة العربية : د . عبدالغفار هلال ، ص ١١٧ – ١١٨ ، ودراسات فى علم الأصوات : د . صبرى المتولى ، دار الثقافة – القاهرة ، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤ م ، ص ٧١ .

٢ – المحتسب : ٤٤٦/١ . ولم أقف على هذا في كتاب السبعة.

٣ – انظر لسان العرب : ضحك . والمحتسب : ٤٤٦/١ ، وقد ورد البيت فى اللسان على هذا النحو : وضحك الأرانب فوق الصفا مثل دم الجوف يوم اللقا

٤ – الشاهد لتأبط شرا ، وهو صدر بيت من المديد ،عجزه : (وترى الذئب بها يستهل) انظر اللسان : ٢٥٥٨/٤ ضحك .

أى : إن الضبع إذا أكلت لحوم الناس أو شربت دماءهم طمثت ، وقد أضحكها الدم [١].

وقد رد ابن جنى قراءة ابن الاعرابى ، بفتح الحاء ، قائلا : " فليس فى اللغة (ضحكت) وإنما هو(ضَحِكَتْ) " [٢].

كما رد تأويل ابن مجاهد للضحك بالحيض من وجهين:الاول: قوله:" ومن أين لهم أن الضبع تحيض؟ وقال: يا بنى إنما تكشر للقتلى إذا رأتهم "[٣].

كما ساق تأويلا آخر لشاهد تأبط شرا ، يقصى به تأويل ابن مجاهد ، قال : " أى تستبشر لقتلاهم لتأكلهم ، فيهر بعضهم على بعض فجعله ضحكا " [٤].

وبالعودة إلى معاجم اللغة وكتب المفردات تبين لى صحة ما ذهب إليه ابن جنى ، وعلى النحو الذى طرحته المصادر سالفة الذكر .

ففى مفردات الراغب : صحك يضحك ضحكا ، بكسر الحاء فى الماضى والمصدر [٥].

وكذلك الحال فى النهاية ، يقول ابن الأثير : " وكقولهم : ضحكت الأرض ، إذا أخرجت نباتها وزهرتها " [٦].

---

١ – لسان العرب : ٢٥٥٨/٤ ضحك .
٢ – المحتسب : ٤٤٦/١ .
٣ – لسان العرب : ٤٤٧/١ ضحك .
٤ – السابق .
٥ – ص ٢٩٣ ضحك .
٦ – ٧٦/٣ .

وهو نفس الطرح الذى ورد فى سائر المعاجم ، ففى الصحاح للجوهرى[١]، والقاموس المحيط للفيروز آبادى[٢]، واللسان لابن منظور[٣]: ضحك بكسر الحاء .

فكل المعاجم – على اختلافها – ترجح ، بل تجزم بصحة ما قاله ابن جنى ، بل أورد ابن منظور هذا الفعل فى مواطن عدة من معجمه ، وردت كلها بكسر الحاء فى الماضى [٤].

وبمثل ما رد به ابن جنى هذا المفهوم رده ابن دريد أيضا ، قال : – لأبى حاتم الطائى فى مناسبة هذا البيت – : " ومن أين لهم أن الضبع تحيض ، وقال يا بنى : إنما تكشر للقتلى إذا رأتهم"[٥].

وقال فى اللسان : " وكان ابن دريد يرد هذا ، ويقول : من شاهد الضباع عند حيضها ، فيعلم أنها تحيض ؟ وإنما أراد الشاعر أنها تكشر لأكل اللحوم ، وهذا سهو منه ، فجعل كشرها ضحكا ، وقيل : أنها تستبشر بالقتلى إذا اكلتهم ، فيهر بعضها على بعض ، فجعل هريرها ضحكا " [٦].

وقبل الإجابة على السؤال المطروح : فما سر ضحكها إذن ؟ أقول : لم أر فيما وقعت عليه يدى من المصادر من يوثق هذا الرأى من اللغويين ، بل

---

١ – ٣١٠/٤ ضحك .

٢ – ٤٢٤/٣ ضحك .

٣ – ٢٥٥٨/٤ ضحك .

٤ – لسان العرب : ٤٤٧/١ ضحك .

٥ – المحتسب : ٤٤٧/١ .

٦ – لسان العرب : ٢٥٥٨/٤ ضحك .

نقل ابن منظور كلامالابن عباس يدلى فيه بدلوه حول مدلول هذه الكلمة ، وكان مما قال: "فأما من قال فى تفسير (ضحكت) حاضت، فليس بشيء" [١].

ومن قبله الراغب فى المفردات : " وقول من قال حاضت فليس ذلك تفسيرا لقوله (فضحكت) كما تصوره بعض المفسرين ، فقال : ضحكت بمعنى حاضت " [٢].

وقال الفراء : " وأما قوله (فضحكت) : حاضت فلم نسمعه من ثقة"[٣] ، كما جعل الزمخشرى هذا الرأى فى ذيل الآراء ، قال : فضحكت سرورا بزوال الخيفة ، أو بهلاك أهل الخبائث ، أو كان ضحكها ضحك انكار لفعلتهم ، وقد أظلهم العذاب ، ... ، ... ، وقيل : فضحكت : حاضت " [٤].

وعلى ما جرى عليه الأمر عند الفراء ، جرى عليه الأمر عند أبى حيان ، فقد حمل اللفظة – الضحك – على الضحك المعروف ، الذى يعبر به عن طلاقة الوجه وسروره ، بنجاة أخيها وهلاك قومه ، ثم شرع فى ذكر الوجوه الخاصة بهذه اللفظة ، ومما زاد به على الفراء ، أنها ضحكت لما رأت الملائكة تمسح العجل الحنيذ ، فقام حيا يطفر ، كما ذكر فيما ذكر – نقلا عن مجاهد وعكرمة – أن الكلمة بمعنى الحيض [٥].

---

١ – السابق .

٢ – المفردات فى غريب القرآن : ص ٢٩٤ ، كما لم يشر إليه ابن الأثير فى النهاية . انظر النهاية : ٧٦/٣ ضحك .

٣ – معانى القرآن : الفراء : ٥٠٤/٢ .

٤ – الكشاف : ٨٦/٢ .

٥ – انظر : البحر المحيط : ٢٤٢/٥-٢٤٣ .

والراجح عندى أنها ضحكت تعجبا من البشارة ، بدلالة قوله – تعالى – : ﴿ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ ﴾ هود: ٧٣ ، وقوله – تعالى - : ﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ ﴾ هود: ٧٢ [١].

٩- ومما تفاوت فيه الرأيان تفاوتا لا يرتقى إلى درجة الخلاف ما أثير بينهما من مناقشة حول آية الحشر ﴿ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾ الحشر: ٢٣، فقد روى ابن مجاهد وأبو حاتم عن يعقوب ، قال : سمعت أعرابيا يكنى أبا الدينار عند الكسائى يقرأ : (القَدُّوس) بفتح القاف [٢] .

وأجاب ابن جنى قائلا : " فَعُّول فى الصفة قليل ، وذكر سيبويه فى الصفة (السَّبُّوح ، والقدوس ، وحكى فى الصفة أيضا السبُّوح والقُدُّس بالضم ، وإثبات الفَعُّول الاسم ، كشبوط وسمور وتنور وسفود وهبود – لجبل باليمامة – وعبود " [٣].

وبإمعان النظر فيما ساقه ابن مجاهد ومن بعده ابن جنى ، فإن ما قاله ابن مجاهد لا يتعارض مع ما قاله ابن جنى ، مع الأخذ فى الاعتبار أن السماع الذى ساقه ابن مجاهد عن الأعرابى لا يحسم من قريب أو بعيد موقفه من هذا البناء ، إلا الإقرار الذى يسلم من سوقه لقول الأعرابى ، وربما كان إقراره من باب أنه يدلل بهذه الحالة على إمكانية ورود البناء

---

١ – انظر المفردات فى غريب القرآن : ص ٢٥٤ ضحك .

٢ – القدوس هو الطاهر المنزه عن العيوب . النهاية : ٢٣/٤ . ولم أجد هذه القراءة في كتاب السبعة.

٣ – المحتسب : ٣٦٩/٢ . وقرأ أبو ذر وأبو السمال (القدوس) بفتح القاف . انظر: الدر المصون: ٢٩٢/١٠ . وانظر – في هذه الصفة بوجهيها – الكتاب : ٣٢٧/١ .

بالفتح ، الأمر الذى يعكس أن ضم القاف فى (القدوس) إنما هو الأصل ، لا سيما وقد ذهب جملة من النحاة والمفسرين وعلماء القراءات والمعجميين إلى أن الضم إنما هول الأصل .

قال الزمخشرى : " القدوس : بالضم والفتح " [١].

وإلى مثله ذهب الجوهرى فى الصحاح[٢] ، وأبو حيان فى البحر المحيط [٣]، وابن منظور فى اللسان[٤] ، والزبيدى فى تاج العروس [٥]، وابن الأثير فى النهاية [٦].

قال النحاس : " وقرأ أبو الدينار الأعرابى : (الملك القَدُّوس) بفتح القاف ، قال أبو جعفر : ونظير هذا من كلام العرب جاء مفتوحا نحو : سمور ، وشبوط ، ولم يجيء مضموما السبوح والقدوس " [٧]. وهى عبارة قد تخالف – على حد ما – ما نقله ابن جنى ، وغيره عن سيبويه ، وأصلها: أن الصفة قد ترد على فعول ، كما ترد على فعول .

هذا ، وقد نقل الزبيدى حكاية اللحيانى الإجماع على ضم (قدوس) و (سبوح) وجوز الفتح فيهما [٨]، وهو إجماع – لو صح – لا يتعارض

---

١ – الكشاف : ١٧٧/٣ ، وانظر أساس البلاغة : ص ٤٩٥ قدس .
٢ – ٨١٠/٢ قدس .
٣ – ٢٥١/٨ .
٤ – ٣٥٤٩/٢ قدس .
٥ – ٣٦٧/٨ قدس .
٦ – ٢٣/٤ قدس .
٧ – إعراب القرآن : ٤٠٤/٤–٤٠٥ .
٨ – تاج العروس : ٣٧٦/٨ قدس .

مع أقوال من سبق ، إذ يصير بنا إلى جواز الوجهين، لا سيما وقد أنكر الأزهرى ما حكاه اللحيانى من الإجماع [١].

خلاصة القول أن عبارة ابن مجاهد لا تتدنى بحال إلى مرتبة الرد ، مع الأخذ فى الاعتبار أن كل الآراء تصير بنا حتما إلى ان الضم فى هذه الكلمة إنما هو الأصل ، وأن الفتح فيها نادر ما يقع ، قال ثعلب : " كل اسم على فعول فهو مفتوح الأول ، مثل سفود وكلوب وشمور ، وتنور ، إلا السبوح والقدوس فإن الضم فيها الأكثر ، وقد يفتحان " [٢].

بل ما نص عليه ابن منظور أيضا ، قال : " وفعول – بالضم – من أبنية المبالغة ، وقد يفتح، وليس بالكثير " [٣]. وهذا التعقيب قد يبريء كلا من ابن مجاهد وابن جنى .

١– وقد آثرت هنا – أسوة بما وقع فى المستوى الصوتى – ختم المستوى الصرفى بحالة من حالات الموافقة التى تحققت بين رأيى ابن مجاهد وابن جنى حول آية الجن (لبدا) ١٩ [٤]

---

١ – تاج العروس : الزبيدى : ٣٦٧/٨ قدس .

٢ – اللسان : ٣٥٤٩/٥ قدس .

٣ – السابق ، بل ما نص عليه ابن الأثير أيضا ، انظر النهاية : ٢٣/٤ .

٤ – ولبدا : أى متلبدا ملتصقا بعضها ببعض ، للتزاحم عليه ، وجمع اللبد : ألباد ولبود . مفردات الراغب : ص ٤٦٢ ، ومفردها (لابد) تاج العروس : ٣٢٩/٩ ، وقد يكون مفتوحها (يلبد) ولبودا مصدر الأول ، ولبدا – محركة – مصدر الثانى . تاج العروس : ٣٢٩/٩ لبد . هذا، ولم أقف على هذه القراءة في كتاب السبعة.

فقد روى ابن مجاهد عن عاصم الجحدرى (لبدا) بضم اللام والباء ، قال أبو الفتح : " هذا من الأوصاف التى جاءت على (فعل) كرجل طلــق ، وناقة سرح " [١].

وقد نقل ابن خالويه هذه القراءة أيضا فى كتابه : (إعراب القــراءات السبع) قال : " وروى عن هارون (لبدا) بضمتين ، مثل : تمر " [٢].

كما سبق سيبويه إلى هذا البناء (فعل) على الرغم من ندرته ، قال : " وأما الفعل فهو فى الصفات قليل " [٣].

---

١ – المحتسب : ٣٩٤/٢ . وفي الدر المصون: ٤٩٩/١٠ : " قرأ الحسن والجحــدري (لُبُــدا) بضمتين ، ورواها جماعة عن أبي عمرو ، وهي تحتمل وجهين ، أحدهما : أن يكون جمع (لبد) نحو (رهن) جمع (رهن) والثاني: أن يكون جمع (لبود) نحو : صبور وصُبُر وهــو بناء مبالغة أيضأ " .

٢ – إعراب القراءات السبع : ٤٠٣/٢ . كما نقل أبو حيان هذه القراءة عن الحسن والجحدري وأبو حيوة وجماعة عن أبي عمر ، نقلها أبو حيان عنهم بضمتين. انظر: البحر المحــيط : ٣٥٣/٨ .

٣ – الكتاب : ٩٢٦/٣ .

المستوى النحوي

والمراد به السياق النحوى الذى ترد فيه الكلمة بوصفها وحدة نحوية، وذلك فى مقابل السياق المعجمى ، الذى ترد فيه الكلمة كوحدة دلالية معجمية [١].

وقد كان يطلق على السياق النحوى قديما التركيب ، حيث لم تكن فكرة السياق قد تبلورت بعد، ووصلت إلى ما وصلت إليه الآن من هذه المكانة المعنية فى مجال الدراسات الدلالية .

فإذا كان التركيب هو " النسق الذى تتبعه اللغة فى ترتيب مواقع كلماتها داخل الجملة ، للدلالة على المعنى " [٢]. فإن الدلالة النحوية هى " الدلالة التى تحصل من خلال العلاقات النحوية بين الكلمات ، التى تتخذ كل منها موقفا معينا فى الجملة ، حسب قوانين اللغة ، حيث كل كلمة فى التركيب لا بد أن يكون لها وظيفة نحوية " [٣].

وكما خطا البحث فى المستويين السابقين – الصوتى والصرفى – فكذلك الحال ، فى هذا المستوى ، فسيعنى أولا بعرض وجه الخلاف بين ابن مجاهد وابن جنى ، ثم بعد تحرير المسألة فسيعنى البحث بتداعيات هذا الخلاف ، على المستوى الدلالى ، والذى سيكون أجلى حالا وأوضح مآلا فى

---

١ – العربية والوظائف النحوية : د . ممدوح الرمالى ، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ، ١٩٩٦م ص ٢٢٠.

٢ – البحث اللغوى عند الأصوليين : د . محمد عادل خلف ، رسالة دكتوراة – آداب المنيا م ١٩٨٢م ص ١٤٠ .

٣ – علم الدلالة والمعجم العربى : ص ٣٩ .

هذا المستوى بعينه ، إذ تتناوب المعانى المختلفة على التركيب الواحد وفق أوجه خلافه .

وأسوة بما سبق أيضا فقد صدرت الحديث فى هذا المستوى بمسائل الخلاف ثم أرجأت نماذج الموافقة إلى آخر العرض فى هذا المستوى ، سائلين الله – عز وجل – التوفيق والسداد .

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ البقرة: ٧٤.

فقد أورد ابن جنى قراءة قتادة بتخفيف النون : (وإن من الحجارة) وكذلك (وإن منها) مخففة.

فاعترض ابن مجاهد على تخفيف النون ، قائلا : " أحسبه أراد بقوله : مخففة – الميم – لأنى لا أعرف لتخفيف النون معنى " [١].

فأجاب ابن جنى – كعادته – قائلا : " هذا الذى أنكره ابن مجاهد صحيح " [٢].

بعدها شرع ابن جنى فى التأصيل لما أنكره ابن مجاهد ، قائلا : " هذا الذى أنكره ابن مجاهد صحيح ، وذلك أن التخفيف فى (إن) المكسورة شائع عنهم ، ألا ترى إلى قول الله – تعالى – : ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ

١ – المحتسب : ١٧٥/٢ . ولم أقف على هذه القراءة في كتاب السبعة.
٢ – السابق .

ءَالِهَتِنَا ﴾ الفرقان: ٤٢،﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ﴾ القلم: ٥١ ، أى : إنهم على هذه الحال .

وهذه اللام لازمة مع تخفيف النون ، فرقا بين (إن مخففة) من الثقيلة ، وبين (إن) التى للنفى بمنزلة (ما) فى قوله – سبحانه – : ﴿ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ۝٢٠ ﴾ الملك: ٢٠ [١].

كما احتج على مذهبه بقول الشاعر :

وما إن طبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا [٢].

" فالطب العادة ههنا ، يقول : مالنا بالجبن عادة ، ولكن حضرت منيتنا ودولة آخرين ، حتى نال الأعداء منا ، وهذه (إن) إذا دخلت على (ما) النافية نحو : ما إن زيد قائم ، فهى فى لغة بنى تميم مؤكدة لأنهم لا يعلمون (ما) وفى لغة أهل الحجاز تكون زائدة كافة لها عن العمل ، ويكون ما بعدها مبتدأ أو خبر ، كما كانت (ما) كافة لإن عن العمل فى قولك : إنما زيد قائم"[٣].

---

١ – المحتسب : ١٧٥/١ .

٢ – هذا البيت من الوافر ، وهو لفروة بن مسيك ، وانظره فى الكتاب : ١٥٣/٣ ، والمحتسب : ١٧٥/١ ، ومغنى اللبيب : ٤٦/١ رقم (٢٤) وشرح المفصل : ٢٣٦/٨ ، ولسان العرب (طبب) . انظر الخصائص : ٣٣٧/٢ . أي : ما لنا بالجبن عادة ، ولكن حضرت منيتنا ودولة آخرينا ، حتى نال الأعداء منا.

٣ – شرح المفصل : ٢٣٦/٨ . أي ما لنا بالجبن عادة ، ولكن حضرت منيتنا ودولة آخرينا حتى نال العداء منا

٢- كما اختلفوا فى قوله – تعالى – :

﴿ وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ ﴾ البقرة: ٢٠٥.

فقد نقل ابن جنى رواية هارون عن الحسن وابن أبى إسحاق وابن محيصن (ويهلك) بفتح الياء واللام ، ورفع الكاف ، مع رفع (الحرث والنسل) على الفاعلية .

وقد رد ابن مجاهد هذه القراءة قائلا : " وهو غلط " [١].

وهنا أورد ابن جنى هذه القراءة بفتح الياء واللام ورفع الكاف ، وبالتالى رفع الحرث والنسل على الفاعلية (ويهلك الحرث والنسل) وقد رد ابن مجاهد هذه القراءة ، غير أنه لم يذكر وجه تخطئته لهذه القراءة [٢] . كما قرأ الحسن (ويهلك) بضم الياء وإسكان الهاء وفتح اللام مبنيا للمفعول، وبرفع الحرث على أنه نائب فاعل [٣]

وربما كان سبب الرد ما أشار إليه صاحب الكتاب : " وأما (فعل يفعل) فليس بأصل ، ومن ثم لم يجيء إلا مشروطا فيه أن يكون عينه أو لامه أحد أحرف الحلق : الهمزة والهاء والحاء والعين والخاء والغين) إلا ما شذ من نحو : أبى يأبى ، وركن يركن " [٤].

---

١ – المحتسب : ٢١٠/١ . والنص غير موجود بكتاب السبعة.

٢ – كما قرأ الحسن (ويهلك) بضم الياء وإسكان الهاء وفتح اللام مبنيا للمفعول و(الحرث) رفعا على أنه نائب فاعل. انظر: الدر المصون ٣٥٣/٢

٣ – انظر: الدر المصون ٣٥٣/٢

٤ – شرح المفصل : ٢٨٧/٧ . بل هذا ما نص عليه السمين الحلبي، قال: " وفتح عين المضارع هنا شاذ، لفتح عين ماضيه، وليس عينه ولا لامه حرف حلق، فهو مثل :ركن يركن ، بالفتح فيهما " الدر المصون : ٣٥٣/٢.

وباستعراض الامثلة التى استعان بها ابن جنى لتوضيح فكرته ، تجدها – كما ذكرها تماما – فى مظانها ، فقد ذكر منها سيبويه : أبى يأبى ، وجبى يجبا ، وقلى يقلى [١].

أما سائر الامثلة ، فقد أشار إليها ابن منظور ، مع نصه على شذوذ بعضها ، لخلوه من حروف الحلق ، قال – فى جبا يجبا – : " مما جاء نادرا، مثل أبى يأبى ، وذلك أنهم شبهوا الألف فى أخره بالهمزة فى قرأ يقرأ، وهدأ يهدأ " [٢].

وعن ركن : " ركن يركن ، بفتح الكاف فى الماضى والآتى ، وهو نادر، وليست بفصيحة"[٣].

وقال : " وكان أبو عمرو أجاز : ركن يركن ، بفتح الكاف من الماضى والغابر ، وهو خلاف ما عليه الأبنية فى السالم " [٤]. وذلك لأن باب فعل يفعل – بفتحتين – أن يكون حلقى العين أو اللام" [٥].

وما قيل فى هذا ، قيل فى قنط يقنط [٦]. وقيل فى قلى يقلى [٧]. وقيل فى غسا يغسو ، قال الزبيدى : " ومما يستدرك عليه : غسا الليل يغسو ،

---

١ – انظر الكتاب : ٤/١٠٥-١٠٦ .
٢ – لسان العرب : ١/٥٤١ جبى
٣ – السابق : ٣/١٧٢١ ركن .
٤ – لسان العرب : ٣/١٧٢١ ركن .
٥ – هامش السابق : ٣/١٧٢١ .
٦ – السابق : ٥/٣٧٥٢ قنط .
٧ – السابق : ٥/٣٧٣١ قلى .

كابى يأبى ، حكاه ابن جنى ، لأنهم شبهوا ألفه بهمزة فى قرأ يقرأ ، وهدأ يهدأ " [١].

بل أضاف ابن جنى أنه قد " يجوز أن يكون (يهلك) جاء على (هلك) بمنزلة (عطب) غير أنه استغنى عن ماضيه بهلك " [٢]. مستعينا بقراءة أبى السمال : (فإن زللتم) بكسر اللام ، قال أبو الفتح : " هما لغتان : زللت وللت ، بمنزلة ضللت وضللت ، إلا ان الفتح فيهما أعلى اللغتين"[٣].

ونظيره ما ذكره الأخفش فى اللسان : " وأما قنط يقنط – بالفتح فيهما – وقنط يقنط – بالكسر فيهما – فإنما هو على الجمع بين اللغتين " [٤].

غير أن ابن منظور قد ذكر كلاما يرجح فى موضعه ما ذهب غليه ابن مجاهد ، وذلك حين حكم بالضمة لمضارع (قنط) بصورتى الضم والكسر ،

---

١ – تاج العروس : ٧٤٦/٧ غسو .

٢ – المحتسب : ٢١٠/١ .

٣ – السابق . وقد كان للعرب في ماضي هذا الفعل ومستقبله ثلاثة مناهج : ١– ضللت أضل ، على وزن فعل يفعل ، وقد نسبه إلى تميم كراع وابن القطاع وإلى الحجاز اللحياني ، وعزاه إلى أهل العالية ابن السكيت والجوهري والفيومي وابو حيان. ٢– ضللت أضل ، على فعل يفعل ، ونسبه إلى تميم كراع والسيوطي . ٣– ضللت أضل من باب ضرب ونسب إلى نجد فقط نسبه اللحياني وابن السكيت والجوهري والفيومي . والملاحظ أنه قد نسيب إلى تميم صيغتان ، الأولى والثانية، وإن كانوا يقصدون بنجد من يقيمون به من تميم وغيرهم فهذا يعني أن التميميين كانوا ينطقون ضللت أضل أيضا . انظر :لغة تميم دراسة تاريخية وصفية: د. ضاحي عبدالباقي ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٥ هـ= ١٩٨٥م ، ص ٤٢٩–٤٣٠ .

٤ – اللسان : ٣٧٥٢/٥ قنط .

لا الفتح ، فقال بعد أن ساق مذهب ابن جنى بفتح النون فى الماضى والآتى – : " والصحيح ما بدأنا به " [١].

يقصد : قنط يقنط – بالكسر – وقنط يقنط – بالضم .

ولعل القول باختلاف اللغات هو المخرج مما نحن فيه ، قال فى اللسان: " وفيه لغة ثالثة : قنط يقنط قنطا .... وأما قنط يقنط – بالفتح فيهما، وقنط يقنط – بالكسر فيهما – فإنما على الجمع بين اللغتين ، قاله الأخفش "[٢].

بل " وفى التنزيل العزيز: ﴿ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦ ﴾ الحجر: ٥٦

، وقريء : ومن يقنط . قال الأزهرى : وهما لغتان : قنط يقنط ، وقنط يقنط ، فى اللغتين ، قال : قال ذلك أبو عمرو بن العلاء " [٣].

هذا، وقد قرأ (يقنط) بكسر النون حيث وقع أبو عمرو والكسائي ويعقوب والوجه أنه مضارع (قنط) بفتح النون (يقنط) بكسرها مثل(كسر يكسر) ، وهي اللغة المشهورة العليا، يدل على ذلك اتفاق القراء على الفتح في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ ﴾ الشورى: ٢٨ بفتح النون لا غير . وقرأ الباقون (يقنط) و (لا تقنطوا) و﴿ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦ ﴾ الروم: ٣٦ بفتح النون حيث وقع. وتأويله أنه مضارع (قنِط) بكسر النون ،

---

١ – السابق .

٢ – لسان العرب : ٣٧٥٢/٥ قنط .

٣ – لسان العرب : ٣٧٢٥/٥ . (قنط) .

وقنِط وقنَط بالكسر والفتح لغتان مثل نقِم ونقَم [١] . واللغة الأولى – بكسر النون– هي لغة أهل الحجاز وأسد ، وهي الأكثر. وهنا اتحدت ظاهرة لهجية بين الحجاز التي تمثل الغرب وأسد التي هي من الشرق [٢]. وقرأ الباقون بما فيهم يحيى بن يعمر والأشهب العقيلي وأبو عمرو وعيسى بفتح النون من (قنط) بكسر النون (يقنط) بفتحها ، وقنط بفتحها يقنط بكسرها ، لغتان [٣].

بل ليس من الصواب إغفال أمر كهذا كالقول باختلاف اللغات ، وقد أجمع عليه – فيما بدا لى – أبو عمرو بن العلاء وسيبويه والأخفش والأزهرى ، الأمر الذى يخفف من حدة الخلاف بين ابن مجاهد وابن جنى .

والساحة – كما تبدو للمتلقى – ميدان مزدحم بالآراء الصرفية ، غير أن هذه التطورات الصرفية قد يترتب عليها تطور فى حكم النحاة ، فالفعل (يهلك) – بفتح الياء وضم الكاف – رفع (الحرث) و (النسل) على الفاعلية . قال النحاس : " وروى عن ابن كثير أنه قرأ : (ويهلك الحرث والنسل) بفتح الياء ، وضم الكاف ، والحرث والنسل مرفوعان بيهلك " [٤].

---

١ – الموضح لابن أبي مريم ، الفقرة التاسعة ، ص ٧٢٣ . وانظر: الدر المصون ١٦٦/٧ – ١٦٧ .

٢ – اللهجات العربية في التراث ٦٤/١–٦٥ .

٣ – الدر المصون: ١٦٦/٧ ، وانظر: أثر اختلاف اللهجات العربية في النحو: د. يحيى علي يحيى المباركي ، دار النشر للجامعات – القاهرة ، ط(١) ٢٠٠٧م ، ص ٣٠٦ .

٤ – إعراب القرآن : ٢٩٩/١ .

وكذلك ما رواه هارون عن الحسن (ويهلك) بفتح الياء واللام ورفع الكاف ، الضبط الذى يقتضي أيضا الرفع فى (الحرث) و (النسل) على الفاعلية [١].

أما قراءة حفص فقد عدى الفعل فيها بالهمزة ، فصار (أهلك يهلك) التغير الصرفى الذى يترتب عليه نصب (الحرث والنسل) على المفعولية وهذا يذكر بما سبق رصده من " أن الدرس الصرفى مقدمة للدرس النحوى، لأن اهتمام الصرف ببنية الكلمة إنما هو من أجل توظيفها فى تركيب نحوى" [٢].

وربما تعجب الباحث من عبارة ابن مجاهد – وهو يعقب على مذهب ابن جنى – " وهو غلط"[٣] فقد تحمل هذه العبارة من الإطلاق والعموم ما لا يليق بابن جنى ، وقد أغرق مسائل الخلاف كلها حجة وعلما ، وكفاه فى هذه المسألة أنه أمطر ابن مجاهد بالعديد من النظائر الصرفية التى ترجح مذهبه .

٣- كما اختلفا فى قوله – تعالى – : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ﴾ البقرة: ٢٨٢

فقد قرأها ابن محيصن : (ولا يضارُّ) بالرفع . قال ابن مجاهد : " لا أدرى ما هى " [٤].

---

١ – المحتسب : ٢١٠/١ .

٢ – علم الدلالة والمعجم العربى : ص ٣٣- ٣٤ .

٣ – المحتسب : ٢١١/١ .

٤ – ولم أقف على هذه القراءة في كتاب السبعة.

قال ابن جنى : " وهذا الذى أنكره ابن مجاهد معروف، وذلك أن تجعل (لا) نفيا ، أى : وليس ينبغى أن يضار " [١].

وهنا طرح ابن جنى لهذه الآية ثلاث قراءات [٢]:

الاولى : قراءة عمرو بن عبيد وابى جعفر يزيد بن القعقاع : (ولا يضار) بتشديد الراء. فالعامة " على فتح الراء جزما ولا ناهية ... والأصل: يضارر بكسر الراء الأولى فيكون كاتب مشهيد فاعلين نهيا عن مضارة المكتوب له والمشهود له " [٣].

الثانية : قراءة عمرو بن عبيد وابى جعفر يزيد بن القعقاع أيضا : (ولا يضارْ) بتسكين الراء . قال في الدر: " بتشديد الراء ساكنة ، وصلا ، وفيها ضعف من حيث الجمع بين ثلاث سواكن ، لكن لما كانت الألف حرف مد قام مدها مقام حركة، والتقاء الساكنين مغتفر في الوقف ، ثم أجري الوصل مجرى الوقف في ذلك" [٤].

الثالثة : قراءة ابن محيصن : (ولا يضارُّ) بالرفع مع التشديد . والثالثة – هذه – هى التى أنكرها ابن مجاهد ، قال : " لا أدرى ما هى " [٥].

---

١ – السابق : ٢٤٣/١ .
٢ – انظر : السابق .
٣ – الدر المصون: ٢/ ٦٧٥ .
٤ – السابق: ٦٧٦/٢
٥ – المحتسب : ٢٤٣/١ .

وقال السمين الحلبي : " برفع الراء وهو نفي ، فيكون الخبر بمعنى النهي "[١] . وقرأ عكرمة في رواية مقسم: (ولا يضار) بكسر الراء مشددة على أصل التقاء الساكنين [٢] .

وقد رد عليه ابن جنى إنكاره ، محتجا بشهرة هذه القراءة ، قائلا : " وهذا الذى أنكره ابن مجاهد معروف " [٣]. ومعللا ذلك بقوله : " على ان تجعل (لا) نفيا ، أى : وليس ينبغى أن يضار"[٤].

ومحتجا بقول الشاعر :

على الحكم المأتى يوما إذا قضى قضيته ألا يجور ويقصدُ [٥].

وما ذهب إليه سيبويه والأخفش وابن منظور فى هذا البيت ذهب إليه ابن جنى ، قال : " فرفع (ويقصد) على أنه أراد : وينبغى له أن يقصد ، فرفع (يقصد) كما يرتفع (ينبغى) فكذا هذا ، أى ، وينبغى ألا يضار "[١] .

---

١ – الدر المصون: ٦٧٦/٢

٢ – السابق : ٦٧٧/٢.

٣ – المحتسب : ٢٤٣/١ .

٤ – السابق .

٥ – البيت لعبدالرحمن بن أم الحكم ، ذكره سيبويه فى الكتاب (٥٦/٣) وابن جنى فى المحتسب (٢٤٣/١) ، وهو من الطويل، ثم أكد ابن منظور على هذه النسبة فى اللسان (٣٦٤٢/٥ قصد) والحكم : الحاكم الذى يقضى بين القوم ، والقضية : الحكم ، والقصد : العدل ، والشاهد فيه : رفع (يقصد) على القطع ، لان معناه : وينبغى له أن يقصد ، كأنه قال : وليقصد فى حكمه . الكتاب : ٥٦/٣ ، وهو مذهب الأخفش ، قال : " أراد : وينبغى أن يقصد ، فلما حذفه ، وأوقع يقصد موقع ينبغى ، رفعه ، لوقوعه موقع المرفوع " . اللسان : ٣٦٤٢/٥ قصد .

١ – المحتسب : ٢٤٤/١ ، وانظر الكتاب : ٥٦/٣ ، واللسان : ٣٦٤٢/٥ قصد .

بل أتى ابن جنى بنظير هذه الآية ، مما جاء بلفظ الخبر ومعناه الأمر ، وهو قوله – تعالى :﴿ * وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ﴾ البقرة: ٢٣٣ .

قال ابن جنى : " أى : ليرضعن ". [١]

كما أكد هذا المفهوم فى رده على ابن برى ، الذى كان يرى أن معنى البيت : " على الحكم المرضى بحكمه المأتى إليه ليحكم ألا يجور فى حكمه ، بل ، يقصد ، أى : يعدل ، ولهذا رفعه ، ولم ينصبه ، عطفا على قوله (ألا يجور) لغناء المعنى ، لأنه يصير التقدير عليه ألا يجور ، وعليه ألا يقصد"[٢] .

قال ابن جنى – يرد على مفهوم ابن برى – : " وليس المعنى على ذلك ، بل المعنى : وينبغى له أن يقصد ، وهو خبر بمعنى الأمر ، أى : وليقصد ، وكذلك قوله – تعالى – : ﴿ * وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ﴾ البقرة: ٢٣٣ . أى : ليرضعن " [٣].

بل وسع ابن جنى دائرة البسط ، فقال : " وإن شئت كان لفظ الخبر على معنى النهى ، حتى كأنه قال : (ولا يضارِرْ) كقولهم فى الدعاء : يرحمه الله ، أى ليرحمه الله ، ويغفر الله لك، أى : وليغفر الله لك ، ولا يرحم قاتلك ، فرفع على لفظ الخبر ، وأنت تريد : لا يرحمه الله جزما ، فتأتى بلفظ الخبر ، وأنت تريد معنى الامر ، والنهى على ما ذكرنا " [١].

---

١ – المحتسب : ٢٤٣/١ ، وانظر : معانى القرآن للأخفش : (٣٩١/١) .
٢ – لسان العرب : ٣٤٦٢/٥ قصد .
٣ – المحتسب : ٢٤٣/١ ، وانظر معانى القرآن للأخفش : ٣٩١/١ .
١ – المحتسب : ٢٤٤/١ .

فتأمل كيف كان إلمام ابن جنى بمثل هذه القضايا ، وقصور المخالفين عن إدراك وثبته عادة ، وكأنه لا يبارى .

وأخيرا فإن هناك قراءة ثالثة للأعمش ، نقلها النحاس فى إعراب القرآن – بكسر الراء – (ولا يضارِّ كاتب ولا شهيد) قال أبو جعفر : " كسر الراء لالتقاء الساكنين ، وكذلك من فتح ، إلا أن الفتح أخف " [١].

٤- ومما اختلف فيه نحويا قوله – تعالى – :﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴿٧٣﴾ ﴾ آل عمران: ٧٣ . فقد طرح ابن جنى قراءة الحسن : (أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم) فاعترض ابن مجاهد ، قائلا: " وعلى هذا ينبغى أن يكون : أن يؤتىَ أحدًا " [٢].

وهنا رد ابن جنى على ابن مجاهد إنكاره ، قائلا : " لا وجه لإنكار ابن مجاهد رفع (أحد) مع قوله (يوتىَ) مسمى الفاعل ، وذلك أن معناه : أن يؤتى أحد أحدا مثل ما اوتيتم ، كقولك : أن يحسن أحد مثل ما أحسن إليكم ، أى : أن يحسن أحد إلى احد مثل ما أحسن إليكم ، فتحذف المفعول، ويكون معناه ومفاده : أن نعمة الله – سبحانه – لا تقاس بها نعمة " [٣].

وما ذكره ابن جنى نص عليه – بتمامه – ابن عطية ، قال : " وقرأ الحسن : (أن يؤتِى أحد) بكسر التاء ، على إسناد الفعل إلى (أحد) والمعنى : أن إنعام الله لا يشبهه إنعام أحد من خلقه ، وأظهر ما فى هذه

---

١ – إعراب القرآن : ٣٤٨/١ .

٢ – المحتسب : ٢٦٠/١ . ولم أقف على هذه القراءة في كتاب السبعة .

٣ – السابق .

القراءة أن يكون خطابا من محمد – صلى الله عليه وسلم – لأمته ، والمفعول محذوف ، تقديره : أن يؤتى أحد أحدا " [١].

٥- كما أنكر ابن مجاهد على ابن جنى – نحويا – قراءة الحلوانى عن قالون عن شيبة : (أو آوىَ) هود: ٨٠ ، بفتح الياء ، قال ابن مجاهد : " ولا يجوز تحريك الياء ها هنا " [٢]. فأجابه ابن جنى ، قائلا : "هذا الذى أنكره ابن مجاهد عندى سائغ جدا جائز ، وهو أن تعطف (آوى) على (قوة) ، فكأنه : قال (لو أن لى بكم قوة أو أويًّا إلى ركن شديد) فإذا صرت إلى انتفاء المصدر ، فقد وجب إضمار (أن) ونصب الفعل بها " [٣].

كما احتج ابن جنى لمذهبه بقول قيسون بنت بحدل الكليبية ، وهو من الوافر:

للبسُ عباءة وتقر عينى أحب إلى من لبس الشفوفِ [٤].

أى : لأن ألبس عباءة وتقر عينى أحب إلى من كذا [١].

---

١ – البحر المحيط : ٤٩٧/٢ .

٢ – المحتسب : ٤٤٩/١ .

٣ – السابق .

٤ – البيت لميسون – كما سبق – وهى بنت معاوية بن أبى سفيان . وكانت بدوية ، فضاقت نفسها لما تسرى عليها ، فعذلها على ذلك ، وقال لها : أنت فى ملك عظيم ، وما تدرين قدره ، وكنت قبل اليوم فى العباءة ، فردت عليه بهذا البيت . والعباءة : جبة الصوف ، قرت عينه : بردت كناية عن السرور والرضا ، الشفوف : جمع شف بالكسر ، وهو الثوب الرقيق يصف البدن ، أى : للبس العباءة مع قرة العين وصفاء العيش أحب من لبس الشفوف مع سخنة العين ونكد العيش . الكتاب : ٤٥/٣ هامش .

١ – المحتسب : ٤٤٩/١ .

وهو ما نص عليه سيبويه:" لما لم يستقم أن تحمل (وتقر) – وهو فعل – على (لبس) وهو اسم– لما ضممته إلى الاسم ، وجعلت أحب لهما ولم ترد قطعه ، لم يكن بد من إضمار أن"[١].

بل نص عليه محقق الكتاب ، إذ يقول : " والشاهد فيه (نصب تقر) بإضمار (أن) بعد الواو ، ليعطف على اللبس ، لأنه اسم ، وتقر فعل ، فلم يمكن عطفه عليه ، فتحمل على إضمار (أن) لأن أن وما بعدها اسم ، فعطف اسما على اسم ، وجعل الخبر عنهما واحدا وهو نصب : أحب"[٢].

بل ودعم سيبويه [٣]هذا الشاهد بأمثلة أخرى منها :

قوله – تعالى – :﴿ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢ ﴾ آل عمران: ١٤٢. والنصب قراءة الجمهور .

وقوله – تعالى – :﴿ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧ ﴾ الأنعام: ٢٧. فقد قرأها حفص وحمزة ويعقوب بنصب (نكذب) و (نكون) .

قال ابن يعيش : " فأما النصب – وهو قراءة حمزة وابن عامر وحفص – فعلى معنى الجمع، والتقدير : يا ليتنا يجمع لنا الرد وترك التكذيب والكون من المؤمنين ، ويكون المعنى كالوجه الاول فى دخولها فى التمنى ، ويكون التكذيب على رأى من يرى التمنى خبرا " [١] .

---

١ – الكتاب : ٤٦/٣ .
٢ – السابق .
٣ – الكتاب : ٤٤/٣ .
١ – شرح المفصل : ٤٧/٧ ، والمقصود بالوجه الأول وجه الرفع ، فقد كان عيسى بن عمر يجعلهما متمنيين معطوفين .

هذا ، وقد ذهب ابن يعيش – فى تأويل هذا البيت – مذهبا فيه قدر من التفصيل ، قال : " ولو قال: (وأن تقر عينى لجـاز) لأن الأول مصـدر ، فلبس عباءة : مبتدأ و (تقر عينى) فى موضع رفع بالعطف عليه ، وأحب إلى : الخبر عنهما . والمعنى : أن لبس الخشن من الثياب مع قـرة العـين أحب إلى من لبس الشفوف ، وهو الرقيق من الملبوس ، فالتفضـيل لهمـا مجتمعين على لبس الشفوف ، ولو انفرد أحدهما بطل المعنى ، الذى آراده ، إذ لم يكن مراده أن لبس عباءة أحب إلى من لبس الشـفوف ، فلمـا كـان المعنى يعود إلى ضم (تقر عينى) إلى (لبس عباءة) اضطر إلى إضـمار أن والنصب " [١].

ولو تركنا مذهب النحاة إلى مذهب المفسرين فالأمر لا يختلف البتـة ، قال الزمخشرى : " وقرىء (أو آوىَ) بالنصب ، بإضمار (أن) كأنه قيل : لو أن لى بكم قوة أو أويا ، كقولها : للبس عباءة وتقر عينى " [٢].

وقال أبو حيان : " وقرأ شيبة وأبو جعفر (أو آوىَ) بنصب اليـاء ، بإضمار (أن) بعد أو ، فتقدر بالمصدر ، عطفا بالمصدر على قوله (قوة) ..... " [٣].

وكعادة ابن جنى فى إمطار خصمه بوابل من الشـواهد التـى تـدعم مذهبه، فقد احتج لمذهبه هذا بشاهد من الكتاب :

فلولا رجال من رزام أعزة وآل سبيع أو أسوءك علقما

---

١ – شرح المفصل : ٤٦/٧ .

٢ – الكشاف : ٨٨/٢ .

٣ – البحر المحيط : ١٤٧/٥ ، بتصرف يسير .

أى : أو أن أسوءك ، فكأنه قال : أو مساءتى إياك ، فكذلك هذه القراءة : لو أن لى لكم قوة أو أويا ، أى : أو أن آوىِ إلى ركن شديد [١].

قال سيبويه : " يضمر (أن) وذلك لأنه امتنع أن يجعل الفعل على (لولا) فأضمر(أن) كأنه قال: لولا ذاك ، أو : لولا أن أسوءك " [٢].

فأى شيء بقى لابن مجاهد يواجه به هذا الحشد اللغوى الهائل من ابن جنى ، والمدعم بآراء اللغويين والنحويين والمفسرين ، وإن كان السياق الذى ساقه ابن جنى لقضايا الخلاف كلها مسوقا لخدمة مذهب ابن جنى ، وحسب ، أعنى أن يكتفى بعرض آراء ابن مجاهد عارية من أدنى حجة أو دليل، ثم بعد ذلك يسوق آراءه بالكيفية التى تروق له ، وتخدم فكرته مع الصفح الكامل عن أى تعقيب يعقب به ابن مجاهد على حجة ابن جنى . بل مع الجهل الكامل بملابسات المناقشة والمواجهة ، فلربما كان للحكم شأن آخر لو استوفى المتلقى أدنى تعقيب لابن مجاهد على حجة ابن جنى .

٦- كما اختلفا هنا فى قوله – تعالى – : ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ الحاقة: ١٤ .

فقد نقل ابن جنى عن ابن عامر (وحمّلت الأرض) مشددة الميم ، قال ابن مجاهد : " وما أدرى ما هذا " [١]. قال ابن جنى : " هذا الذى تبشع على ابن مجاهد حتى أنكره من هذه القراءة صحيح وواضح " [٢].

---

١ – المحتسب : ٤٤٩/١ – ٤٥٠ ، والشاهد ورد بالكتاب : ٥٠/٣ ، وهو من الطويل ، وهو لرزام بن مالك ، وأعزة : جمع عزيز، وسبيع : هو ابن عمرو بن فتية وعلقمة : هو علقمة بن عبيد ، وقد ورد الشاهد بلفظ : (ولولا) بدلا من (فلولا)، والشاهد فيه : نصب : (أسوءك) بإضمار (أن) ليعطف اسما على اسم . الكتاب : ٥٠/٣ هامش

٢ – الكتاب : ٥٠/٣ .

١ – المحتسب : ٣٨٧/٢ . ولم أقف على هذه القراءة في السبعة. وقراءة ابن عامر رواية الأعمش وابن أبي عبلة وابن مقسم. الدر المصون ٤٢٨/١٠.

٢ – السابق .

هذا وقد ساق أبو حيان القراءتين ، موجها لهما ، دون أدنى عناء دلالى :

فقراءة الجمهور : (وحملت) بتخفيف الميم ، وقراءة ابن عامر بتشديدها ، فالتخفيف على أن تكون الأرض والجبال حملتها الريح العاصف أو الملائكة أو القدرة ، من غير واسطة مخلوق ، ..... والتشديد على أن تكون للتكثير ،فلم يكسب الفعل مفعولا آخر، أو يكون التضعيف للنقل ، فجاز أن تكون الأرض والجبال المفول الأول ، أقيم مقام الفاعل ، والثانى محذوف أى : ريحا تفتتها أو ملائكة أو قدرة .

وجاز أن يكون الثانى أقيم مقام الفاعل ، والأول محذوف ، وهو واحد من الثلاثة المقدرة "[١].

كما أضاف ابن جنى – تدعيما لمذهبه هذا – بعض الأمثلة التى تكافئ – فى دلالتها وتوجيهها – دلالة أمثلة أبى حيان ، بما لا يدع مجالا للشك فى مذهبه [٢].

٧- وهنا اعترض ابن مجاهد على فتح الحاء من كلمة (نشرح) فى قوله – تعالى – :﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ ﴾ الشرح: ١، فقد نقل الأول عن الخليل النوشجانى قراءة أبى جعفر المنصور : (ألم نشرحَ لك صدرك) بفتح الحاء [١].

---

١ – انظر : البحر المحيط : ١٢٣/٨ .

٢ – انظر المحتسب : ٣٨٧/٢ – ٣٨٨ .

١ – السابق : ٤٣٤/٢ .

قال ابن مجاهد : " وهذا غير جائز أصلا " [١]. نقل السمين الحلبي توجيها لهذه القراءة عن الزمخشري خلاصته أنه:" لعله بين الحاء وأشبعها في مخرجها فظن السامع أنه فتحها" [٢].

أما ابن جنى فقد استهل المفاصلة بإقرار ابن مجاهد على ما سبق ، من جهة أن هذا " غير جائز أصلا " غير أنه قد ورد فى الشعر ، وعلى نحو ما جاء فى نوادر أبى زيد، وهو من الرجز :

من أى يومى من الموت أفر أيوم لم يقدر أم يوم قدر [٣].

" قيل : لم يقدرًا ، بالنون الخفيفة ، وحذفها ، وهذا عندنا غير جائز ، وذلك أن هذه النون للتوكيد ، والتوكيد أشبه شيء به الإسهاب والإطناب ، لا الإيجاز والاختصار ، ولكن فيه قول ذو صنعة ، وقد ذكرته فى كتابى الموسوم : سر الصناعة " [٤].

نعم ، ذكره ابن جنى فى كتابه (سر صناعة الإعراب) [١] وأنكر حذف النون الخفيفة للضرورة.

قال : " هذه النون لا تحذف إلا لسكون ما بعدها ، ولا سكون هاهنا بعدها " [٢].

---

١ – انظر المحتسب : ٣٨٧/٢ – ٣٨٨ .
٢ – الدر المصون : ٤٣/١١ ، وفيه عن ابن عطية أن الأصل : ألم نشرحن بالنون الخفيفة ثم ابدلها ألفا ثم حذفها تخفيفا. السابق
٣ – الشاهد نسبه البحترى للإمام على ، ونقل ابن الأعرابى نسبته إلى الحارث بن المنذر الجرمى ، وأن الإمام على تمثل به . انظر : سر صناعة الإعراب : ٧٨/١ هامش .
٤ – المحتسب : ٤٣٤/٢ .
١ – المحتسب : ٧٨/١ .
٢ – السابق: قال ابن هشام : " ويجب حذف الخفيفة إذا لقيها ساكن " مغنى اللبيب : ٣٨٣/٢ ، وانظر اللسان : قنس .

إذن فما العلة التى يراها ابن جنى جديرة بحذف النون الخفيفة ؟

يرى ابن جنى أن أصل الشاهد : " أيوم لم يقدر أم " بسكون الراء من (يقدر) للجزم ، فلما جاورت الراء الساكنة الهمزة المفتوحة من (ام) أجريت الراء الساكنة مجرى المتحرك [١]، فتحركت ، وصار التقدير كأنه : " أيوم لم يقدر أم " فتسكن الهمزة وقبلها الراء مفتوحة ، فتقلب الهمزة ألفا للتخفيف ، فيصير التقدير : " يقدر أم " فتأتى الألف ساكنة ، وبعدها الميم ساكنة فيلتقى ساكنان ، فتحرك الألف لالتقائهما ، فتنقلب همزة على ما ذكرنا ، و تفتحها لالتقائهما ، وكان الفتح هنا حسنا اتباعا لفتحة الراء " [٢].

ليس ذلك فحسب ، بل أضاف ابن جنى إلى رصيد شواهده لهذا المذهب شاهدا آخر :

اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس [١].

قال ابن جنى : " فقالوا : اضربا ، بالنون الخفيفة ، وحذفها " [٢].

---

١ – وعلى نحو ما حكاه سيبويه فى المراة والكماة ، يريدون : المرأة والكمأة ، فالميم والراء لما كانتا ساكنتين ، والهمزتان بعدهما مفتوحتان ، صارت الفتحتان اللتان فى الهمزتين كأنهما فى الراء والميم ، وصارت الراء والميم كأنهما مفتوحتان ، وصارت الهمزتان كأنهما ساكنتان ، فصار التقدير : مرأة وكمأة ثم خففتا فأبدلت الهمزتان ألفين لسكونهما ، وانفتاح ما قبلهما ، فقالوا : مراه وكماه . انظر سر صناعة الإعراب : ٧٨/١-٧٩ .

٢ – انظر : سر صناعة الإعراب : ٧٨/١-٧٩ .

١ – ورد الشاهد بغير نسبة فى اللسان ، وهو من المنسرح ، قال ابن برى : " البيت لطرفة ، ويقال : إنه مصنوع " . لسان العرب : ٣٧٥١/٥ (قنس) ، وقونس الفرس : ما بين أذنيه، وقيل : عظم ناتئ بين أذنيه ، وقيل : مقدم الرأس . سر صناعة الإعراب : ٨٤/١ هامش .

٢ – المحتسب : ٤٣٤/٢ . بل ذكر ابن جنى فى موضع من (سر صناعة الإعراب) : " فمدفوع – أى هذا الشاهد – مصنوع عند عامة أصحابنا ، ولا رواية تثبت به " . سر صناعة الإعراب : ٨٤/١ ، وهذا سبق أن ذكره صاحب لسان العرب (قنس) .

هذا ، وقد ساق أبو حيان موقف ابن جنى تماما بشواهده ، غير انه نص على أن هذه القراءة قراءة مرزولة [١]، ولعلها تكافئ عبارة ابن مجاهد السابقة : " وهذا غير جائز أصلا " .

ولذلك لم يدرج أبو جعفر هذه القراءة ضمن قراءات الآية ، قال : " أجزم بلم ، وعلامة الجزم حذف الضمة "[٢] .

بل ساق أبو حيان تخريجا للآية ، وصفه بانه " أحسن من هذا كله " وهو " أنه لغة لبعض العرب ، وحكاها اللحيانى فى نوادره ، وهى الجزم بلن، والنصب بلم ، عكس المعروف عند الناس" [٣].

جدير بالذكر أن كل المصادر التى سبقت الإشارة إليها قد أمضت التأويل الذى سبق إليه الزمخشرى، وخلاصته أن أبا جعفر المنصور " لعله بين الحاء ، وأشبعها فى مخرجها ، فظن السامع أنه فتحها"[٤].

وهو بعيد لأنه تفرد بهذا التأويل أولا ، ولأنه تأويل لا يقوم على أساس علمى ، ولأن نظير هذه الآية :﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ ﴾ الأنعام: ١٢٥، فلم تفتح الحاء من (يشرح) وهى ساكنة كسابقتها .

وعليه فلا غرابة فى عبارة ابن مجاهد : " وهذا غير جائز أصلا " فالشاهدان اللذان طرحهما ابن جنى: أحدهما تكسوه الغرابة ، وتتلبس به

---

١ – البحر المحيط : ٤٨٧/٨ .

٢ – إعراب القرآن : ٢٥١/٥ .

٣ – البحر المحيط : ٤٨٨/٨ ، كما رصد هذا التخريج ابن هشام فى مغنى اللبيب (٣٨٣/٢) والسيوطى فى البهجة المرضية : ص ٤٠٦ ، الفقرة ٦٩٥ .

٤ – الكشاف : ٢٧٩/٣ .

التصورات غير المألوفة ، وغير المسلم بها عند الكثير ، أما الثانى فمصنوع كما سبق .

وكما سبق أن ذكرنا بعض النماذج التى تحققت فيها موافقة ابن جنى لابن مجاهد فى مذهبه ، وقد أردفناها نماذج المخالفة ، كل فى مستواه ، فهاهنا أيضا آثر الباحث- أسوة بما وقع فى المستويين السابقين – أن يعقب بنماذج الموافقة :

وقد استهللنا نماذج الموافقة بما وقع لآية البقرة من تأويل :

٨- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ * إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾ البقرة: ٢٦ .

فقد قرأ ابن مجاهد قراءة رؤبة : ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ بالرفع ،وقرأ بها أيضا ابن أبي عبلة والضحاك، واتفقوا على أنها خبر لمبتدأ ،ولكنهم اختلفوا في ذلك المبتدأ، فقيل : هو (ما) على أنها استفهامية ، أي: أي شيء بعوضة، وإليه ذهب الزمخشري ورجحه [١]، وقد وافقه ابن جنى قائلا : "وجه ذلك ان (ما) هاهنا اسم بمنزلة الذى ، أى : لا يستحيى أن يضرب الذى هو بعوضة مثلا ، فحذف العائد على الموضول ، وهو مبتدأ "[١] .

---

١ – انظر: الدر المصون: ٢٢٥/١

١ – المحتسب : ١٤٥/١ ، وقيل: المبتدأ مضمر، تقديره: هو بعوضة. الدر المصون ٢٢٥/١ . وهذا النص لابن مجاهد غير مدرج في كتاب السبعة.

إذن ، فابن جنى يؤصل لقراءة رؤبة التى نقلها ابن مجاهد ، وتقديرها – كما سبق – أن (ما) ها هنا اسم بمنزلة الذى [١]، أى : لا يستحى أن يضرب الذى هو بعوضة مثلا ، فحذف العائد ، وهو مبتدأ [٢].

وهو تأويل وافق فيه ابن جنى مذهب النحاة ، كما وافق رأى ابن مجاهد ، وهذا بعنى ان ابن مجاهد لم يأخذ نفسه فى كل مرة بمعارضة ابن جنى ، فربما خالفه كثيرا ، ووافقه قليلا ، وهذه إحدى المرات التى وافق فيها ابن جنى ابن مجاهد .

وباستعراض أقوال النحاة ، فربما اطمأنت النفس إلى ما ذهب إليه ابن جنى :

ففى شرح التسهيل : " وبمعنى الذى وفروعه : (من) و (ما) و (ذا) ..... " [٣].

وفى البيان لابن الانبارى : " وما فى قوله – تعالى – ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ فيها ثلاثة أوجه : ..... والثالث : أن تكون بمعنى الذى ، و(بعوضة) مرفوع، لأنه خبر مبتدأ مقدر ، وتقديره: الذى هو بعوضة"[١].

---

١ – شرح التسهيل : ابن مالك ، تحقيق : أحمد السيد سيد أحمد على ، دار سعد الدين للطباعة والنشر – القاهرة ، ٢١٤/١ .

٢ – المحتسب : ٢٤٥/١ .

٣ – شرح التسهيل : ٢١٤/١ .

١ – البيان فى غريب إعراب القرآن : ابن الانبارى ، تحقيق : جودة مبروك محمد ، مكتبة الآداب – القاهرة ، ط (١) ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٤ ، ٦٠/١ .

كما استعان ابن الأنبارى بنفس الشاهد الذى استعان به ابن جنى لتوضيح مذهبه ، قال : " كقوله – تعالى – : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ ﴾ الأنعام: ١٥٤ أى : هو أحسن " (١).

وفى إعراب القرآن للنحاس : " بعوضة بالرفع ، وهذه لغة تميم جعل (ما) بمعنى الذى ، ورفع بعوضة على إضمار مبتدأ " (٢).

ومما دعم به ابن جنى موقفه حكاية سيبويه عن الخليل : " ما أنا بالذى قائل لك شيئا . أى : الذى هو قائل لك شيئا " (٣).

فالخلاصة – إذن – أن قراءة النصب : ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ بتقدير ما زائدة فى الكلام ، أى : إن الله لا يستحيى أن يضرب بعوضة مثلا ، أما قراءة الرفع – وهى لهجة تميم – فعلى تقدير أنهم يجعلون (ما) بمنزلة الذى ، ويضمرون (هو) كأنهم قالوا : (لا يستحيى أن يضرب مثلا الذى هو بعوضة) أى : لا يستحيى أن يضرب الذى هو بعوضة مثلا (٤).

---

١ – انظر : المحتسب : ١٤٥/١ ، البيان فى غريب إعراب القرآن : ٦٠/١ .

٢ – إعراب القرآن : ٢٠٤/١ .

٣ – المحتسب : ١٤٦/١ .

٤ – معانى القرآن للأخفش : ٢١٥/١ .

ومما تحققت فيه الموافقة قوله – تعالى – :

٩- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ البقرة: ١٧٧.

فقد نقل ابن جنى قراءة أبى وابن مسعود بنصب البر وزيادة الباء ، قال ابن مجاهد : " فإذا كان هكذا لم يجز أن ينصب البر " [١].

وقد وافقه ابن جنى فى أن ما ذهب إليه إنما هو الظاهر ، قال ابن جنى : " الذى قاله ابن مجاهد هو الظاهر فى هذا " [٢]، غير انه قد جوز – من وجه آخر – قراءة أبى وابن مسعود ، باعتبار الباء زائدة ، كقولهم : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَفَىٰ بِٱللَّهِ ﴾ العنكبوت: ٥٢ ، أى : كفى الله ، وكقوله – تعالى – : ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٧، أى : كفينا ، فكذلك ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ ﴾ بنصب البر ، كما فى قراءة السبعة " [٣]. فالباء تزاد كثيرا في الخبر بعد ليس، وقد ضرب ابن عقيل المثل بالعديد من الآيات القرآنية التي تزاد فيها الباء في مثل هذا الموضع[١] .

فمن نصب جعل (أن) مع صلتها الاسم ، وتقديرها – عندئذ – : (ليس توليتكم وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كله ، ومن رفع ، فالمعنى : البر كله توليتكم ، فيكون (البر) اسم ليس ، ويكون (أن تولوا)

---

١ – المحتسب : ٢٠٥/١ . وقد نقل ابن مجاهد في السبعة قراءة حمزة وحفص عن عاصم بنصب(البر) ،ورواية هبيرة عن حفص عن عاصم الوجهين بالرفع والنصب. انظر السبعة في القراءات : ص٧٥

٢ – السابق .

٣ – السابق .

١ – انظر: شرح ابن عقيل ٣٠٩/١ .

الخبر ، وحجتهم : إدخال الباء على الخبر ، فالباء لا تدخل فى اسم لـيس ، إنما تدخل فى خبرها [١].

وإلى مثله سبق الفراء ، قال " إن شئت رفعت (البر) وجعلت (أن تولوا) فى موضع نصب ، وإن شئت نصبته وجعلت (أن تولوا) فى موضع رفع ، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ ﴾ الحشر: ١٧، وفى إحدى القراءتين (ليس البر بأن) فلذلك اخترنا الرفع فى (البر) والمعنى فى قوله (ليس البر بأن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) أى : ليس البر كله فى توجهكم إلى الصلاة ، واختلاف القبلتين " [٢].

بل هذا ما أكد عليه المحققون ، إذ يجوز رفع (البر) مع أنه اسم ليس (وأن تولوا) مصدر مؤول من (أن) وما بعدها فى محل نصب خبر (لليس) كما يجوز نصب البر على انه خبر لـ (ليس) مقدم على اسمها و (أن تولوا) فى موضع نصب خبر ليس [٣].

أما آخر نماذج الموافقة فحول قوله – تعالى :

١٠- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَن يُحْىِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠ ﴾ القيامة: ٤٠

وهنا أقر ابن جنى قراءة ابن مجاهد عن طلحة بن سليمان : (أن يحيى الموتى) بإسكان الياء الثانية من يحيى ، وهذا الوجه لم يرد بكتاب السبعة.

---

١ – انظر حجة القراءات : ابن زنجلة ، تحقيق : سعيد الأفغانى – مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط (٥) ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ ، ١٢٣/٢ .

٢ – معانى القرآن : ١٣٢/١ .

٣ – السابق : ١٣٢/١ هامش .

قال ابن جنى : " معنى قول ابن مجاهد : أنه قرأه على سكون اليـــاء من (يحيى) على لغة من قال :

يا دار هند عفت إلا أثافيها[١] .

فأسكن الياء فى موضع النصب ، لا أن الياء فى قوله ٠ يحيى الموتى) ساكنة ، وذلك أنه لا ياء هناك فى اللفظ أصلا ، لا ساكنة ولا متحركة ، لأنها قد حذفت ، لسكونها وسكون اللام من الموتى " [٢].

وكعادة ابن جنى ، فقد دعم رأيه السابق بكلام أبى العبـــاس ، الـــذى قضى بأن : " إسكان هذه الياء فى موضع النصب من أحسن الضـــرورات ، حتى إنه لو جاء به جاء فى اللغة لكان جائزا ، وشواهد ذلك فى الشعر أكثر من أن يؤتى بها " [١].

ثم ساق أبو العباس شاهدا فى النثر ، وهو قولهم : (لا أكلمك حيرى دهر) فأسكن الياء من (حيرى) وهى فى موضع نصب [٢].

---

١ – هذا صدر بيت من البسيط ، وهو للحطيئة (جرول بن أوس) وعجزه : (بـــين الطـــوي فصارات فواديها) ، وعفت : درست ، والأثافى : جمع أثفية ، وهى رأس الجبـــل ، وهـــي الحجارة تنصب على القدور، والطوي بئر بأعلى مكة، وصارات جمع (صارة) وهـــي رأس الجبل. انظر : الكتاب : ٣٠٦/٣ ، وأمالى ابن الشجرى : ٢١/٢ ، والخصائص : ٣١١/١ ، ٧٨/٢ ، ١٢٢ وشرح المفصل : ١٠٠/١٠ .

٢ – المحتسب : ٤٠٤/٢ ، والشاهد فيه تسكين الياء من أثافيها للضرورة . الكتاب ٣٠٦/٣.

١ – السابق.

٢ – السابق .

بل ساق من الشعر أيضا قول الهذلى :

رب هيضل لجب لففت بهيضل [١].

أراد : رب ، فحذف إحدى الباءين ، وبقى الثانية مجزومة ، كما كانت قبل الحذف ، وإن لم يكن هناك موجب للحركة لالتقاء الساكنين ،ولولا ذلك لوجب تسكين لام هل وبل ودال (قد) إذ لا ساكنين هناك ، فتجب الحركة لالتقائهما [٢] .

والحقيقة أن ردود الأفعال حول هذه القراءة لم تتسق كلها وفق الإطار الذى رسمه ابن جنى ، ففى الوقت الذى سبق فيه سيبويه إلى هذا المذهب ، محتجا بنفس الشاهد [١]، بل ومؤصلا لهذا المذهب بقوله : " وإنما اختصت هذه الآيات فى هذا الموضع بذا – أى : بالتسكين – لأنهم يجعلون الشيئين ههنا اسما واحدا فتكون الياء غير حرف الإعراب فيسكنونها ويشبهونها بياء زائدة ساكنة"[٢].

---

١ – هذا عجز بيت من الكامل لأبى كبير الهذلى ، وصدره (أزهير إن يشب القذال فإنه) . والهيضل : الجماعة أو الجيش ، والهيضلة : المرأة الضخمة ، الخصائص : ٢٠٦/٢ ، وشرح المفصل : ٢١٤/٥ ، ولففت بهيضل : يريد جمعت بينهم فى القتال ، شرح المفصل : ٢١٤/٥ ، وقد ورد هذا العجز فى مجالس ثعلب بلفظ (رب هيضل مرس لففت بهيضل) مجالس ثعلب : ٢٦٩/١ مجلس رقم ٣٢٥ . والشاهد فيه : تخفيف الباء من (رب) على لغة بعض العرب. أمالي ابن الشجري ٤٨/٣.

٢ – المحتسب : ٤٠٤/٢ .

١ – شاهد الحطيئة .

٢ – الكتاب : ٣٠٦/٣ ، وممن أيده أيضا : ابن الشجرى (أمالى ابن الشجرى ٢٠/٢ – ٢١) وابن يعيش فى شرح المفصل : ١٩٨/١٠ ، وقد عقب بعبارة قد تكون طيبة فى هذا المقام، فقال : " فمنهم من يجعل ذلك لغة ، ومنهم من يجعله ضرورة " . انظر شرح المفصل : ١٩٦/١٠ . هذا ، وقد تتبعت المسألة فوجدت رؤبة وبعض السعديين (الحطيئة) من حملها على الضرورة. انظر الكتاب ٣٠٦/٣ . أما تميم فهم من حملوها على أنها لغة. انظر اللهجات العربية ، د. عبدالغفار هلال ص٣٠٢ .

وفى الوقت الذى ذهب فيه سيبويه مذهبه خرج كثير من اللاحقين عن هذا النسق ، فقد ذهب الفراء إلى إظهار الياءين ثم كسر الياء الأولى ، وجزم الحاء ، ثم نقل حركة الياء الاولى إلى الساكنة قبلها ، وأخيرا إدغام الياء فى الياء ، محتجا بقول الشاعر :

وكأنها بين النساء سبيكة تمشى بسدة بيتها فتعِيُّ [١].

وقد نقل أبو حيان هذه القراءة واستنكرها ، قائلا : " وجاء عن بعضهم (يحيى) بنقل حركة الياء إلى الحاء ، وإدغام الياء فى الياء " [١].

كما استنكرها النحاس ، قال : " وهذا خطأ – أى قول الفراء – عند الخليل وسيبويه ، والعلة فى ذلك – وهو معنى كلام أبى اسحاق – أنك إذا قلت : (يحيى) لم يجز الإدغام أيضا ، لأن الياء وإن كانت قد تحركت فحركتها عارضة ، لك وأيضا فكيف يجوز أن يكون حرف واحد يدغم فى موضع لعامل دخل عليه غير ملازم ، ولا يجوز أن يدغم ، وهو فى موضع رفع ، والرفع الأصل"[٢].

---

١ – البيت مجهول القائل ،وهو من بحر الكامل، والسبيكة : قطعة مستطيلة من فضة ، وسدة البيت : بابه ، والشاهد فيه قوله : (فتعيٌّ) أصله (تعيى) حيث نقل حركة الياء الأولى إلى الساكن قبلها ، ثم أدغم الياء فى الياء ، ليس تحريك ثانيهما بلازم ، فمن أدغم نظر إلى أنهما مثلان فى كلمة واحدة ، وحركة ثانيهما لازمة ، وقيل : أصله : (فتعيى) محقق إعراب القرآن للفراء : ١١٨٥/٣ هامش .

١ – البحر المحيط : ٣٩١/٨ ، بل نقل ابن خالويه ما يعضد استنكاره ، قال ابن خالويه : " لا يجيز أهل البصرة – سيبويه وأصحابه – إدغام (يحيى) قالوا : لسكون الياء الثانية ، ولا يعتدون بالفتحة فى الياء ، لأنها حركة إعراب غير لازمة " . البحر المحيط : ٣٩١/٨ .

٢ – إعراب القرآن : ٩٤/٥ .

والراجح عندى صحة هذا المذهب ، لثبوت شواهده من ناحية ، ولإجماع النحاة خصوصا على وقوعها ، كالخليل وسيبويه وابن الشجرى وابن يعيش ، فضلا عن أحد علماء القراءات ، وهو الفراء ، كذلك وقد جاءت عبارة ابن يعيش : " فمنهم من يجعل ذلك لغة " لتتسع لوقوع مثل هذه الظواهر ، التى تخرج عن المألوف المعتاد .

المستوى الدلالى

ذلك المستوى الذى يدرس المعنى ، أو ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذى يتناول نظرية المعنى[١]. ولم يكن من الغريب المستنكر أن تتقلص انعكاسات هذا المستوى فى إطار هذا البحث مقارنة بما عكسته المستويات اللغوية السابقة : الصوتى والصرفى والنحوى ، ربما لأن علم الدلالة لم يأخذ مكانته الجادة ونظراته المتأنية صوب أحداث اللغة إلا فى مرحلة متأخرة [٢]، فأول دراسة علمية تختص بالمعنى كانت تلك التى قام بها الباحث الفرنسى ميشيل بريال ، فى أواخر القرن التاسع عشر (١٨٨٣م) [٣] غير أنه – ومع مرور الأيام – تميزت بحوث الدلالة بمزيد من الاستقلالية ، حتى تحققت لها مبادئ مختلفة ، ومدارس مختلفة أيضا ، واستطاعت فى عصر يموج بالثقافات أن تكون ملامحها الدقيقة وقضاياها الخاصة ، وتعمق النظر فى جزئياتها ، باعتبارها علما قائما بذاته ، يثرى بغيره من روافد العلم ، ولكنه يتغيا شخصية متميزة المعالم والتقاسيم .

ويكمن حصر النماذج التى تنتمى إلى هذا الوجه فيما يلى :

١- دلالة الحذف :

الحذف قد يكون حذفا فى الحركة التى هى بنية الكلمات ، أو للإعراب، وقد يكون حذفا فى الحروف ، وقد يكون حذفا تحت ما يسمى بتخفيف المشدد ، وكل هذا ينسب للمستوى الصوتى[٤].

---

١ – علم الدلالة : د. أحمد مختار عمر. ص ١١ .
٢ – البحث الدلالى عند ابن حزم الاندلسى : الباحث ، رسالة دكتوراة – جامعة المنيا ٢٠٠٠م، ص ١٠٠ .
٣ – علم الدلالة العربى : د . فايز الداية ، دار الفكر – دمشق ، ط (١) ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م ، ص ٦ .
٤ – انظر : إعراب القرآن للنحاس : ١٤٨/١ .

أما الحذف الذى ينتمى إلى المستوى الدلالى ، فإنما هو حذف كلمة بعينها ، ما الذى يطرأ على المعنى من وراء حذف هذه الكلمة ، هذا ما أنتوى رصده فى هذا الإطار . بل ما رصده البحث من وجوه الحذف .

وعليه ، فقد وقف البحث عند هذه المسائل :

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ البقرة: ١٣٧

وقد اعترض ابن مجاهد على هذه القراءة ، حاكيا عن ابن عباس أنه قال : " لا تقرأ : (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به) فإن الله ليس له مثل ، ولكن اقرأ : (بما آمنتم به) قال : وروى عنه

أيضا أنه كان يقرأ : (بالذى آمنتم به) [١].

فالخلاف هنا حول كلمة (مثل) : هل يجوز حذفها ، وكأنها زائدة ، أم لا بد من إدراحها فى السياق؟

أما ابن مجاهد – ووفق رواية ابن عباس – فإنه يرى أنها لا تقرأ : (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به) فإن الله ليس له مثل ، ولكن اقرأ : (بما آمنتم به) بل روى عن ابن عباس أيضا أنه كان يقرأ: (بالذى آمنتم به) [٢].

بل نقل أن هذه القراءة إنما هى قراءة ابن مسعود [٣].

---

١ – المحتسب : ١/٢٠٠ . والنص غير موجود في كتاب السبعة.

٢ – السابق .

٣ – السابق .

أما ابن جنى ، فمع أنه استحسن قول ابن عباس ، غير أنه قد دافع عن القراءة المشهورة ، ونفى ردها ، بحجة أن العرب قد تأتى بـ (مثل) فى نحو هذا توكيدا أو تشديدا .

فالرجل إذا نفى عن نفسه القبيح يقول : مثلى لا يفعل هذا ، أى : أنا لا أفعله ، ومثلك إذا سئل أعطى ، أى أنت كذاك [١].

كما احتج لمذهبه بهذا الرجز :

مثلى لا يحسن قولا فع فع [٢].

أى : أنا لا أحسنه . وفى حديث سيف بن ذى يزن : " أيها الملك مثلك من سر وبر " أى: أنت كذاك ، وهو كثير فى الشعر القديم والمولد جميعا[٣].

بل استطرد ابن جنى فى أكثر من مناسبة ، يدلل بشواهد الشعر وغيرها على عادة العرب فى إنتاج مثل هذا الإصدار [٤].

وما ذهب إليه ابن جنى ذهب إليه الزمخشرى ، قال : " هذا – أى : (بمثل ما آمنتم به) – من باب التبكيت ، لأن دين الحق واحد لا مثل له ،

---

١ – السابق . إذن فـ (مثل) هنا فيها قولان ، الأول: أنها زائدة ، والتقدير: بما آمنتم به، وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس. وذكر البيهقي عن ابن عباس : " لا تقولوا : بمثل ما آمنتم به، فإن الله ليس له مثل ، ولكن قولوا: بالذي آمنتم به" ، وهذه تروى قراءة عن أبيّ. انظر الدر المصون: ٢/١٤٠-١٤١ .

٢ – الرجز بلا نسبة فى اللسان : ٥/ ٤٢١٣ مشى ، والفعفع : أجر الغنم ودعاؤها ، وكأنه يخاطب زوجه ، وقد أمرته باقتناء الغنم ورعيتها ، فقال : لا أحسن ذلك . المحتسب : ١/٢٠٠ . والشاهد من بحر الرجز.

٣ – المحتسب : ١/٢٠٠ .

٤ – انظر : الخصائص : ٢/٢٧٣ .

وهو دين الإسلام ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ آل عمران: ٨٥ . فلا يوجد إذا دين آخر يماثل دين الإسلام ، فى كونه حقا ، حتى إن آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين ، فقيل : فإن آمنوا بكيمة الشك على سبيل الفرض والتقدير، أى : فإن حصلوا دينا آخر مثل دينكم ، مساويا فى الصحة ، فقد اهتدوا [١].

وبمثله أيضا أفتى أبو حيان ، قال " وقالت فرقة : هذا من مجاز الكلام، يقول : هذا أمر لا يفعله مثلك، أى : لا تفعله أنت ، والمعنى : فإن آمنوا بالذى آمنتم به، وهذا يؤول إلى إلغاء (مثل) وزيادتها من حيث المعنى"[٢].

أما الفخر الرازى فقد واكب – فى عرضه – عرض ابن جنى إلى حد بعيد ، قال : أما قوله : (بمثل ما آمنتم به) ففيه إشكال ، وهو أن الذى آمن به المؤمنون ليس له مثل ، وجوابه من وجوه ، أحدها: أن المقصود منه التثبيت ، والمعنى ، إن حصلوا دينا آخر مثل دينكم ، مساويا له فى الصحة والسداد ، فقد اهتدوا ، ولكن لما استحال أن يوجد دين آخر مساويا هذا الدين فى السداد ، استحال الاهتداء بغيره ، ونظيره : قولك للرجل الذى تشير عليه : هذا هو الرأى والصواب ، فإن كان عندك رأى أصوب منه ، فاعمل به ، وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ، ولكنك تريد تثبيت صاحبك وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأى وراءه " [٣].

---

١ – الكشاف : ٢٣٦/١ .

٢ – البحر المحيط : ٤١٠/١ ، ثم ساق أبو حيان – بعد ذلك – رأى الزمخشرى ، وقد سبقت الإشارة إليه .

٣ – مفاتيح الغيب : ٤٤٩/١ .

بل تأمل – إلى أى حد – كيف وافق ابن جنى – فى مذهبه – تقرير الطبرى عن هذه الآية ، وقد نقل الأخير عن القاضى هذه العبارة : " لا وجه لترك القراءة المتواترة من حيث يشكل المعنى ويلبس ، لأن ذلك إن جعله المرء مذهبا لزمه أن يغير تلاوة كل الآيات المتشابهات ، وذلك محظور"[١].

وقد ذهب ابن الأنبارى إلى أن (مثل) قد تكون زائدة ، والتقدير عندئذ – (فإن آمنوا بما آمنتم به) محتجا ببعض النظائر القرآنية كقوله – تعالى – : ﴿ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ يونس: ٢٧

أى :مثلها،وهو ما اتضح فى الآية الأخرى :﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَاۖ ﴾ الشورى: ٤٠ [٢].

وقد طرح أبو حيان هذا الرأى ثم أعقبه بضده ، قال : " وأما (مثل) فقيل : زائدة ، والتقدير: فإن آمنوا بما آمنتم به ،قالوا: كهى فى قوله – تعالى –: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ الشورى: ١١

، أى ليس كهو شيء .

١ – السابق . ثم عقب الرازى بما يقطع بقناعته بترجيح الوجه الأول ، الذى أشرت إليه . قائلا : " والوجه الأول فى الجواب هو المعتمد " .

٢ – البيان فى غريب إعراب القرآن : ١١٩/١ .

وكقوله : فصيروا مثل كعصف مأكول [١].

ثم عقب أبو حيان بنقيض ما ذكره أعلاه ، قائلا : " وقيل : ليست بزائدة ، والمثلية هنا متعلقة بالاعتقاد ، أى : فإن اعتقدوا مثل اعتقادكم ، أو متعلقة بالكتاب ، أى : فإن آمنوا بكتاب مثل الكتاب الذى آمنتم به ، والمعنى : فإن آمنوا بكتابكم المماثل لكتابهم ، أى : فإن آمنوا بالقرآن الذى هو مصدق لما فى التوراة والإنجيل " [٢]. ولعل هذا ما اجتمعت عليه الأفهام، و ما عكسته عبارة السمين الحلبي التي سبق رصدها [٣].

---

١ – الشاهد عجز بيت من السريع أورده ابن هشام فى (أوضح المسالك) باب الأفعال الناسخة، ظن وأخواتها ، الشاهد رقم ١٨٤ ، ٥٢/٢ . كما ذكره الأستاذ / محمد محيى الدين عبدالحميد فى تحقيقه للشاهد اختلاف النحاة فى نسبة البيت ، فمنه من ذكر أنه من كلام حميد الأرقط ، وذكر ابن هشام فى – سيرة النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه لرؤبة بن العجاج ، وهذا ما رجحه الأستاذ / محمد محيى الدين ، حيث وجد البيت فى ديوان رؤبة. وهذا الشاهد عجز بيت من السريع ، وصدره : ولعبت طير بهم أبابيل .

ـ انظر : البهجة المرضية للسيوطى ، تحقيق : د . أحمد إبراهيم محمد على ، مكتبة السنة – القاهرة ط (١) ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م ، ص ٢٦٤ .

ـ قال فى اللسان (عصف ٢٩٧٢/٤) : " أراد : مثل عصف مأكول ، فزاد الكاف ، لتأكيد الشبه ، كما أكده بزيادة الكاف فى قوله – تعالى : (ليس كمثله شيء) إلا أنه فى الآية أدخل الحرف على الاسم ، وهو سائغ ، وفى البيت أدخل الاسم – وهو (مثل) على الحرف، وهو الكاف " .

٢ – البحر المحيط : ٤١٠/١ .

٣ – انظر: الدر المصون : ١٤٠/٢-١٤١.

٢- دلالة الزيادة :

وفيه وردت بعض القراءات مشفوعة بزيادة فى ألفاظها يرى ابن جنى أن هذه الزيادة مرادة مقدرة وكأنها ذكرت – بخلاف ما يراه من جري على عادة الكوفيين من " أن الكلام محمول على معناه ، دون أن يكون القول مقدرا معه " [١]. مع الأخذ فى الاعتبار تخلى عبارة ابن جنى عن موقف ابن مجاهد من هذه العبارة .

ومما عكس مثل هذا النزاع – وقد أصابه البحث – قوله – تعالى – :

١-قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ البقرة: ١٢٧

فقد روى ابن مجاهد عن ابن عباس فى مصحف ابن مسعود : (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل يقولان ربنا) ومثله قوله – تعالى –﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ ﴾ الزمر: ٣ ، ومثله أيضا قوله – تعالى : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ ﴾ الأنعام: ٩٣ [٢].

---

١ – المحتسب : ١٩٤/١ .

٢ – ونظير ما قاله ابن مجاهد قاله السمين الحلبي في تعقيبه على هذا الوجه من وجوه القراءة. انظر الدر المصون : ١١٤/٢.

بينما يرى ابن جنى " أن القول هنا مراد مقدر فى نحو هذه الأشياء ، وأنه ليس كما يذهب إليه الكوفيون من ان الكلام محمول على معناه ، دون أن يكون القول مقدرا معه " (١).

ثم شرع ابن جنى فى إمطار خصمه بوابل من الشواهد ، على اختلافها ، مدعما ومرجحا ، وذلك كقول الشاعر :

رجلان من ضبة أخبرانا إنا رأينا رجلا عريانا (٢).

" فهو عندنا نحن – على قالا : إنا رأينا ، وعلى قولهم : لا إضمار قول هناك ، لكنه لما كان أخبرانا فى معنى قالا لنا ، صار كأنه : قالا لنا ، فأما على إضمار قالا فى الحقيقة فلا ، وقد رأيت إلى قراءة ابن مسعود كيف ظهر فيها ما نقدره من القول ، فصار قاطعا على أنه مراد فيما يجرى مجراه"(٣).

والشاهد استعرضه ابن هشام فى مغنى اللبيب (٤)، ثم قال معقبا : " روى – أى الشاهد – بكسر (إن) فهذه الجمل فى محل نصب اتفاقا ، ثم قال البصريون : النصب بقول مقدر ، وقال الكوفيون: بالفعل المذكور ، ويشهد للبصريين التصريح بالقول فى نحو : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ هود: ٤٥

---

١ – المحتسب : ١٩٤/١ .

٢ – الشاهد رواه البغداديون ، وهو بلا نسبة . وقد روى فى المغنى بلفظ : رجلان من مكة أخبرانا . مغنى اللبيب : ٥٩/٢ الشاهد رقم ٦٥٢ . وقد أورده ابن جنى أيضا فى كتابه الخصائص : ١١٨/٢ ، وهو من بحر الرجز.

٣ – المحتسب : ١٩٤/١ .

٤ – مغنى اللبيب : ٥٩/٢ ، الشاهد رقم ٦٥٢ .

، ونحـــــو : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى ﴾ مريم: ٣ – ٤

، وقول أبى البقاء فى قوله – تعـالى –قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ النساء: ١١ ، إن الجملة الثانيـة فـى موضع نصب بيوصى ، قال : لأن المعنى يفرض لكم ، أو يشرع لكم فى أمر أولادكم ، وإنما يصح هذا على قول الكوفيين " .

وقال الزمخشرى : " إن الجملة الأولى إجمال ، والثانية تفصيل لهـا ، وهذا يقتضى أنه عنده مفسرة ، ولا محل لها ، وهو الظاهر " [١].

ولذلك قال الفراء – تعقيبا على هذا الشاهد – : " ولو قـال أخبرانـا أنهما رأيا كان صوابا"[٢].

ومما احتج به ابن جنى قول عنترة ، وهو من الكامل :

يدعون عنتر والرماح كأنها [٣].

---

١ – مغنى اللبيب : ٥٩/٢ .

٢ – معانى القرآن : الفراء ، تحقيق : د . صلاح عبدالعزيز السـيد ، ود . محمـد مصـطفى الطيب ، ود . محمد عبدالعزيز فاخر ، دار السلام – القاهرة ٣٦٢/١ .

٣ – الشاهد من معلقة عنترة الشهيرة التى مطلعها :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

ـــ وعجزه : أشطان بئر فى لبان الأدهم .

ـــ والمعنى : كأن الرماح حين أشرعت إليه فى طولها حبـال ، واللبـان : مجـرى اللبـب . والرماح: رفع بما عاد من الهاء ، والهاء والألف اسم كأن ، وخبرها (أشطان) ، والواو في الرماح واو الحال.شرح القصائد السبع الطوال لأبي بكر الأنباري، المكتبة العصرية – صيدا، ١٤٣٢هـ=٢٠١١م ، ص ٣٠٥ ، رقم ٦٨ .

فمن ضم الراء من (عنتر) أراد : يقولون : يا عنتر ، ومن فتح الراء ، أراد يا عنترة [١].

قال ابن هشام : " عنتر بالضم على النداء " [٢].

وكذلك : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ الرعد: ٢٣ – ٢٤ ، أى : يقولون ، وقد كثر حذف القول من الكلام جدا [٣].

على حين ذهب النحاس – وإن كان قد أقر القراءة – إلى خلاف ما ذهب إليه ابن جنى ، قال: " وإسماعيل عطف على إبراهيم ، والذى قال : (ربنا تقبل منا) إسماعيل [٤]. وغيره يقول : هما جميعا قالا " [٥]. ولكنه رأى لا يقوى على مناهضة الشواهد السابقة وتأمل أن ابنى جنى هنا يتخذ من مذهب ابن مجاهد معبرة لتصويب رأى البصريين ، وهذا يعكس شمولية مذهب ابن جنى ، فلم يكن دأبه وحسب الانتصار لنفسه من ابن مجاهد ، بل وصف مذهبه بالصواب أحيانا ، بل والاحتجاج به لتدعيم كفة البصريين أو الكوفيين .

---

١ – إعراب القرآن : ٨٦/١ .
٢ – مغنى اللبيب : ٥٩/٢ .
٣ – المحتسب : ١٩٤/١ .
٤ – إعراب القرآن : ٨٦/١ .
٥ – مغنى اللبيب : ٥٩/٢ .

٣- العلاقة بين اللفظ والمعنى :

وباعتبار دلالة الألفاظ على المعانى ، فإنه يمكن تقسيم هذه العلاقة إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، وهذا هو الأصل .

القسم الثانى : اختلاف اللفظين، والمعنى واحد، والمقصود به الترادف .

القسم الثالث : اتفاق اللفظين ، واختلاف المعنيين، والمقصود به المشترك .

والحقيقة أن البحث لم يحظ بحالة من حالات الترادف أو المشترك ، وعليه فقد عنى بمجالات القسم الأول ، فهذا هو المراد من اللغة أصلا ، أن يكون لكل معنى لفظ ، وعندما أشار سيبويه إلى اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين [١]، ربما قصد بذلك أن هذا هو الأصل ، فاستحق بذلك ثناء العلماء ، قال الدكتور / مصطفى مندور : " والفكرة الأولى التى يقررها سيبويه لا اهتزاز فيها ، فذلك هو أصل اللغة " [٢].

وعليه ، فما أصابه البحث من انتماءات القسم الأول :

١- قوله – تعالى – : ﴿ أَلَّا تُقْسِطُواْ﴾ النساء: ٣

---

١ – الكتاب : ١/٢٤ .

٢ – اللغة بين العقل والمغامرة : د . مصطفى مندور ، منشأة المعارف – الاسكندرية ، ١٩٧٤م ، ص ١٥٠ .

فقد رواها المفضل عن الأعمش عن يحيى وإبراهيم وأصحابه : (ألا تقسطوا) بفتح التاء، وقد رد ابن مجاهد هذه القراءة قائلا: "ولا أصل له"[١].

قال ابن جنى : " هذا الذى انكره ابن مجاهد مستقيم غير منكر ، وذلك على زيادة (لا) حتى كأنه قال : إن خفتم أن تقسطوا فى اليتامى ، أى : تجوروا ، فيقال قسط إذا جار ، وأقسط إذا عدل ، قال الله – جل وعلا – : ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ الجن: ١٥ وزيادة (لا) قد شاعت عنهم واتسعت ، ومنه قوله – تعالى – : ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الحديد: ٢٩ ، وقوله – تعالى – :﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٩

، فمن ذهب إلى زيادة (لا) وقال : معناه وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون " [٢].

وما ذكره ابن جنى هنا أطبق عليه الزمخشرى ، قال : " وقرأ النخعى : (تقسطوا) بفتح التاء، على أن (لا) مزيدة ، مثلها فى (لئلا يعلم) [٣]، يريد : وإن خفتم أن تجوروا " [٤]، وهى نفس الآية التى أوردها ابن جنى شاهدا على زيادة (لا) .

بل ما ذهب إليه أبو حيان أيضا ، قال : " وقرأ النخعى وابن وثاب (تقسطوا) بفتح التاء ، من قسط ، والمشهور فى قسط أنه بمعنى جار " [٥].

---

١ – المحتسب :١/١٧٩، ولا أصل أيضا لهذا النص في كتاب السبعة.
٢ – المحتسب : ١/٢٧٩ – ٢٨٠ . وانظر الدر المصون: ٣/٥٦٠ .
٣ – أى : ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ االحديد / ٢٩ .
٤ – الكشاف : ١/٣٤٦ .
٥ – البحر المحيط : ٣/١٦٢ .

وقال الزجاج : " ويقال : قسط بمعنى جار ، وأقسط بمعنى عدل ، فإن حملت هذه القراءة على مشهور اللغة كانت (لا) زائدة ، أى : وغن خفتم أن تقسطوا ، أى : تجوروا لان المعنى لا يتم إلا باعتقاد زيادتها " [١].

كما أكد الأخفش على المعنى المعجمى الذى طرحه ابن جنى فى التفريق بين الفعلين : قسط ، وأقسط ، فقال : " لأنه أى الفعل (تقسطوا) بضم التاء ، من أقسط يقسط ، والإقساط العدل ، وأما (قسط) فإنه جار ... فأقسط عدل ، وقسط جار "[٢] .

فالخلاصة – إذن – أن قسط بمعنى جار ، وأقسط بمعنى أعدل ، و(لا) زائدة ، لان المعنى لا يستقيم إلا بزيادتها .

وربما نظر البحث إلى هذين الفعلين ودلالتيهما على طرفى البعد على أنهما من الأضداد ، فالأضداد لفظان مختلفان لمعنيين متضادين ، كما هو دارج عند علماء اللغة المحدثين :

Two forms with opposite meaning are called Antonyms [3].

---

١ – السابق .

٢ – معانى القرآن للاخفش : عالم الكتب – بيروت ، ط (١) ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م ، ٤٣١/١ ، كما أشار إلى ورودها زائدة ابن فارس فى (الصاحبى) ص ١١٩ ، وابن هشام فى مغنى اللبيب : ٣٨٥/١ – ٣٨٦ .

3 - The study of language an introduction ; J . Yule , combridge university press , britian , 1987 , p . 95

وترجمة العبارة: كل لفظين يحملان معنيين متضادين يعرفان بالأضداد

بل وينتميان إلى قسم الأضداد المتدرجة ، وهى الأضداد التى يمكن استخدامها ضمن تراكيب نسبية ، كما أن نفى أحد الضدين لا يعنى بالضرورة اشتمال الآخر [١].

٢- وقوله – تعالى – : ﴿أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾ مريم: ٧٤

وقد تمخض عن هذه الآية عدة قراءات :

١- قراءة طلحة : (وريا) خفيفة بلا همز .

٢- قراءة سعيد بن جبير : (وزيا) بالزاى .

٣- قراءة أبى عمرو : (ﷺ) بالهمز .

٤- قراءة أهل الكوفة : (وريا) مشددة بلا همز .

٥- قراءة اليزيدى : (ورياء) بياء بعدها ألف بعدها همزة ، وقد نقلها أبو حيان .

ونظرا لأن معيار التفريق الأول فى ألفاظ هذه القراءات إنما هى الأصوات فآثرت – لهذه العلة – رصدها فى المستوى الصوتى . ثم رأيت أن قراءة سعيد بن جبير (وزيا) بالزاى تخالف فى مبناها ومعناها سائر القراءات ، فرأيت – إتماما للفائدة – رصدها هنا فى المستوى الدلالى ، فهى من الزى ، بالزاى ، فعل من (زويت) وذلك أنه لا يقال لمن له شيء واحد من آلته : زى ، حتى تكثر آلته المستحسنة ، فهى إذن من زويت أى : جمعت [٢]،

1- The study of language: p.95 .

٢ – مسند الإمام أحمد : تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف – القاهرة ، ١٩٥٥م ، ٢٤٠/٩ ، الحديث رقم (١٢٨٨٩) ، وغريب الحديث : أبو عبيد القاسم بن سلام ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط (١) ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م ، ١٤/١ .

ومن قول النبى – صلى الله عليه وسلم – :

" زويت لى الأرض " [١]،

ومن قول الأعشى :

يزيد يغض الطرف دونى كأنما زوى بين عينيه على المحاجم [٢].

وقد أشار إلى ما أشار إليه ابن جنى – فيما يتعلق بهذه القــراءة – : الفراء [٣]، وابن خالويه[٤]، وأبو حيان [٥]، وابو جعفر النحاس[٦] .

إذن فمحصلة القراءات خمس قراءات ، أصاب منها ابن مجاهد ثلاثــة أضرب [٧]:

(ورئيا) ، (وريا) و (وزيا) وأقصى اثنتين :

الأولى : (وريا) وهى قراءة طلحة بن مصرف ، بياء واحدة مخففة ، قال عنها أبو جعفر النحاس : " أحسبها غلطا ، وقد زعم بعض النحويين أنه كان أصلها (ورئيا) ثم حذفت الهمزة "[٨].

---

١ – النهاية : ابن الأثير ، تحقيق د . محمود محمد الطناحى ، المكتبة الإسلامية – القاهرة ط (١) ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣ م ، ٣٢٠/٢ .

٢ – الشاهد على البحر الطويل ، وقد ورد بغريب الحديث للهروى : ١٥/١ ، وزوى المعاجم : صرف النظر ، وأمال الطرف . المحتسب : ٨٨/٢ .

٣ – معانى القرآن : الفراء ، تحقيق د . صلاح عبدالعزيز السيد ، دار السلام للطباعة والنشر ، ط (١) ١٤٣٤ هـ = ٢١٠٣م ، ٦٦٥/٢ .

٤ – إعراب القراءات السبع : ٢٤/٢ .

٥ – البحر المحيط : ٢١١/٦ .

٦ – إعراب القرآن : ٢٦/٣ .

٧ – المحتسب : ٧٨/٢ . وانظر السبعة: ص ٤١١-٤١٢.

٨ – إعراب القرآن : ٢١١/٦ .

وعليه ، فلا يقدح فى ابن مجاهد أنه أهمل هذه القراءة .

والثانية : قراءة اليزيدى (ورياء) بياء وبعدها ألف ، بعدها همزة ، ساقها أبو حيان [١]، ولم ينص عليها ابن مجاهد ولا ابن جنى [٢].

فابن مجاهد نص على ما لا خلاف عليه عند الرواة لا سيما (وزيا) .

الخلاصة إذن :

أن القراءة الأولى ، قراءة طلحة (وريا) قد عرض بها النحاس ، وردها إلى (ورئيا) ثم حذفت الهمزة .

أم القراءة الثانية : (وزيا) سبق تفنيدها ، وطرح أصلها ومدلولها[٣].

أم القراءتان الثالثة والرابعة ، فأصلهما عند ابن جنى من الهمز ، فإذا أريد تخفيف الهمز أبدلت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ، ثم أدغمت الياء المبدلة من الهمزة فى الياء الثانية ، التى هى لام الفعل فصارت (وريا) . ويجوز أن يكون من رويت ، فأصله على هذا (روى) فأبدلت الواو ياء ، وأدغمت فى الياء بعدها ، فصارت (وريا) [٤].

وقد حسن النحاس هذه القراءة ، ووافق ابن جنى فى تأويله ، وفيها تقديران :

---

١ - البحر المحيط : ٦/٢١٠ .
٢ - انظر : المحتسب ٢/٨٧-٨٨ .
٣ - والزى : الهيأة . إعراب القرآن : ٣/٢٦-٢٧ .
٤ - المحتسب : ٢/٨٧ .

أحدهما أن يكون من رأيت ، ثم خففت الهمزة فأبدل منها ياء وأدغمت الياء ، وعلى هذا قال ابن عباس : الرى : المنظر ، والمعنى : هم أحسن أثاثا ولباسا .

والوجه الثانى : أن يكون المعنى أن جلودهم مرتوية من النعمة فلا يجوز الهمز ، لأنه مصدر من رويت ريا [١]. فالحجة لمن همز : أنه أخذه من رؤية المنظر الحسن ، والحجة لمن شدد : أنه أخذه من الرى ، وهو امتلاء الشباب والنضارة وتحير مائه فى الوجه [٢].

أما القراءة الخامسة ، فقد حكاها اليزيدى بياء بعدها ألف ، بعدها همزة (ورياء) وأصله : (ورئاء) من المرآة ، أى : يرى بعضهم بعضا حسنا [٣].

---

١ – إعراب القرآن : ٣/٢٦-٢٧ .

٢ – الحجة فى القراءات السبع : ص ١٤٣ .

٣ – البحر المحيط : ٦/٢١٠ .

الخـــاتـــمـــة

تتبعت هذه الدراسة اعتراضات ابن مجاهد على ابن جنى فـــى كتابـــه (المحتسب) وما أسفرت عنه هذه المواجهة على مدى مســـتويات اللغـــة الأربعة : الصوتى ، والصرفى ، والنحوى ، والدلالى ، وقد أسفرت الدراسة عن جملة من النتائج والتوصيات نوجزها فيما يلى :

١- تعقب البحث كل نقاط الخلاف بين ابن جنى وابن مجاهد ، فكانت نقـــاط الخلاف على كافة المستويات اللغوية .

٢- لاحظ البحث قدرا من الموافقة فى الرأى بين ابن جنى وابن مجاهـــد ، وأن هذه المسائل التى تقارب فيها الرأيان لتعد فـــى طليعـــة المفـــاهيم الزاهرة .

٣- كما لاحظ البحث نزاهة العلماء وإنصافهم فى كل مسائل الخـــلاف التـــى رصدها البحث ، وأن اختلافهم وتواجههم لم يؤثر على أمانة العرض ، والتأصيل للمفاهيم اللغوية .

٤- رصد البحث تفوقا عارما لابن جنى علـــى ابـــن مجاهـــد فـــى إلمامـــه بالقراءات القرآنية النادرة ، وبروز ابن جنى علما فى هذا الفن ، كمـــا رصد له تفوقا رائعا في التأصيل للظواهر الصـــوتية، مـــدعما تأصـــيله بوفرة من شواهد اللغة على اختلافها.

٥- أشار البحث إلى مدى موافقة ابن جنى فـــى آراءه اللغويـــة – لمـــذهب اللغويين والنحاة ، الأمر الذى عاد بالسلب على آراء أقرانه.

٦- أشار البحث إلى مدى الانسجام ، الذى أصـــاب كـــل آراء ابـــن جنـــى الصوتية على مستوى كل مؤلفاته ، الأمر الذي عاد بـــالتفوق والغلبـــة

لابن جني في مواجهة ابن مجاهد فيما يتعلق بالمواجهات الصوتية وكذلك الصرفية.

٧- وقف البحث – في بعض الأحيان – عند تندر ابن جني بابن مجاهد تندرا ربما زاد حتى وصل إلى مرتبة التعريض.

٨- رصد البحث تفوقا لابن جنى فى المسائل الصرفية ،وكما هو الشأن فى المسائل الصوتية.

٩- لاحظ البحث تفوق ابن جنى حتى على مستوى القضايا المزدوجة – أعنى المسائل التى تخللتها ظواهر صوتية وصرفية معا – فلم يتدن فيها عن السقف الأعلى لنبوغه وتفوقه .

١٠- لاحظ البحث اتساعا شاسعا فى هوة الخلاف بين ابن مجاهد وابن جنى فى معظم القضايا الصرفية بما يتناسب مع ما قيل عن تفوق ابن جنى الصرفى وما ورد فى السيرة الذاتية له ، ففى الوقت الذى يرى فيه ابن مجاهد الامر منكرا ، يراه ابن جنى مستقيما غير منكر .

١١- رصد البحث أيضا ثباتا لقدم ابن جنى حتى فى العلوم الشرعية ، فقد وافقت أقواله أقوال المفسرين ، ومذاهبهم ، وغدت مجاراة ابن جنى فى هذه الفنون ضربا من ضروب الشقاء والتكلف.

١٢- لاحظ البحث أثارة من حدة وغلظة سادت أقوال ابن جنى فى رده لآراء ابن مجاهد نحو قوله : " هو غلط " وقوله " وهذا قول لا يليق بمن له أدنى إلمام بالعربية " .

١٣- رصد البحث بعض الحالات التى تجاوز فيها الصواب رأى ابن جنى ، كما رصد جملة من المواجهات وافق فيها ابن جنى ابن مجاهد .

١٤- لاحظ البحث أن ما وافق فيه ابن جنى ابن مجاهد على المستوى النحوى يفوق ما تحققت فيه الموافقة على المستويين الصوتى والصرفى ، الامر الذى يؤكد على تفوق ابن جنى الصوتى والصرفى مقارنة بالجانب النحوى .كما رصد البحث عدة حالات وافق فيها ابن مجاهد ابن جنى وسائر النحاة ، الأمر الذى يعكس تفوق ابن مجاهد نحويا وبالمقارنة بالمستويين السابقين : الصوتى والصرفى .

١٥- لاحظ البحث تنوع الشواهد التى يدعم بها ابن جنى مذهبه بين القرآن والشعر والحديث ونثر الحكماء .

١٦- لاحظ البحث تفوق ابن جنى على المستوى الدلالى ، امتدادا لتفوقه فى المستويات اللغوية السابقة .

١٧- كما لاحظ البحث إصابته الغاية المرجوة فى معظم الأحيان ، على الرغم من تعقد مستويات التفنيد وتشابك الآراء .

١٨- لاحظ البحث أن كل ما أورده ابن مجاهد ، ونازعه فيه ابن جنى ، أورده ابن مجاهد معزوا إلى أعلام أفذاذ من صحابة أو تابعين أو علماء متخصصين فى هذا الفن ، الأمر الذى يخفف من حدة مجانبة ابن مجاهد للصواب .

١٩- لاحظ البحث أن ابن جنى لم يكن دأبه وحسب الانتصار لمذهبه من ابن مجاهد ، بل ربما صوب مذهب ابن مجاهد أحيانا ، بل ربما استعان به لترجيح لغة على أخرى ، أو انتصارا لمذهب البصريين أو الكوفيين .

٢٠- رصد البحث بعض الحالات التى أصاب فيها ابن مجاهد الجادة ، وسدة الصواب .

المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم : كتاب العربية ، ومصدرها الأول .

٢) الإبدال : ابن السكيت ، تحقيق : د . حسين محمد محمد شرف ، مراجعة : الأستاذ على الجندى ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .

٣) أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء : د . مصطفى سعيد الخن ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط (٧) ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨م .

٤) أثر اختلاف اللهجات العربية في النحو : د. يحيى على يحيى المباركى ، دار النشر للجامعات – القاهرة ، ٢٠٠٧م .

٥) أساس البلاغة : الزمخشرى ، دار صادر – بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .

٦) أصوات اللغة العربية : د. عبدالغفار حامد هلال ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط (٣) ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦م .

٧) إعراب القرآن : أبو جعفر النحاس ، تحقيق : د. زهير غازى زاهد ، عالم الكتب – القاهرة ، ط (٢)١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م .

٨) إعراب القراءات السبع وعللها : ابن خالويه ، تحقيق : د . عبدالرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة الخانجى – القاهرة ، ط (١) ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م .

٩) الأفعال : ابن القوطية ، تحقيق : علـى فـودة ، مكتبـة الخـانجى – القاهرة ، ط (٣) ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م .

١٠) أمالى ابن الشجرى : تحقيق ودراسة : محمود محمد الطناحى ، مكتبة الخانجى – القاهرة ، ط(١) ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢م .

١١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ابن هشام الأنصـارى ، ومعـه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ، المكتبـة العصـرية – صيدا بيروت ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤ م .

١٢) البداية والنهاية : ابن كثير ، مكتبة المعارف – مصر .

١٣) البيان في غريب إعراب القرآن : ابن الأنبارى ، تحقيق : د . جـودة مبروك محمد ، مكتبة الآداب – القاهرة، ط(١) ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م .

١٤) البحث اللغوى : د. محمود فهمى حجازى ، دار غريـب – القـاهرة ، ١٩٩٧م .

١٥) البحر المحيط : أبو حيان الأندلسى ، مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر ، ط(١) ١٣٢٨هـ .

١٦) بداية المريد في فن التجويد : سيد مختار أبوشـادى ، مراجعـة : د. عبدالباسط هاشم ، الشيخ عبدالفتاح بيومى مدكور ، دار أعلام السلف – القاهرة ط(٢) ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨ م .

١٧) البهجة المرضية في شرح الألفية : السـيوطى ، تحقيـق : د. أحمـد إبراهيم محمد علـى ، مؤسسـة الكتـب الثقافيـة – بيـروت ط(١) ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠ م .

١٨) البرهان في علوم القرآن : الزركشى ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الفكر – بيروت ، ١٤٢٥هـ .

١٩) التمهيد في علم التجويد : ابن الجزرى ، مؤسسة قرطبة – القاهرة ، ط(١) ٢٠٠٣ م .

٢٠) تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الحسينى الزبيدى ، تحقيق : د . نواف الجراح ، مراجعة : د. سمير شمس ، دار صادر – بيروت ، ط(١) ٢٠١١م .

٢١) حجة القراءات : ابن زنجلة ، تحقيق سعيد الأفغانى ، مؤسسة الرسالة بيروت ط(٥) ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م .

٢٢) الحجة في القراءات السبع : ابن خالويه ، تحقيق : أحمد فريد المزيدى،تقديم : د . فتحى حجازى ، منشورات محمد على بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت ، ط(١) ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

٢٣) الخصائص : ابن جنى ، تحقيق : د . عبدالحميد هنداوى ، منشورات محمد على بيضون دار الكتب العلمية – بيروت ، ط(٢) ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣ م .

٢٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تحقيق د. أحمد محمد الخراط ،دار القلم – دمشق.

٢٥) الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتى الحديث : د. حسام البهنساوى ، زهراء الشرق – القاهرة .

٢٦) دراسات في علم الأصوات : د. صبرى المتولى ، أجازه د.شوقى ضيف ، دار الثقافة – القاهرة ، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤ م .

٢٧) الدرر الباهرة في توجيه القراءات العشر المتواترة : د. محمد سالم محيسن ، دار الجيل – بيروت ، ط(٣) ١٤١٣هـ = ١٩٩٣ م .

٢٨) السبعة في القراءات : ابن مجاهد ، تحقيق : د. شوقى ضيف ، دار المعارف – مصر ١٩٧٢م

٢٩) سر صناعة الإعراب : ابن جنى ، تحقيق : أحمد فريد أحمد ، المكتبة التوفيقية – القاهرة .

٣٠) شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد الحنبلى ، دار الفكر – بيروت .

٣١) شرح ابن عقيل : ابن عقيل ، تحقيق : محمد محيى الدين عبدالحميد ، دار الفكر – القاهرة .

٣٢) شرح التسهيل : ابن مالك ، تحقيق : أحمد السيد أحمد على ، المكتبة التوفيقية – القاهرة .

٣٣) شرح القصائد السبع الطوال: أبوبكر محمد بن القاسم الأنباري ، ضبطه وعلق عليه بركات يوسف، المكتبة العصرية- صيدا ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.

٣٤) شرح المفصل : ابن يعيش ، تحقيق : د. إبراهيم محمد عبدالله ، دار سعد الدين للطباعة والنشر – القاهرة .

٣٥) الصاحبى في فقه اللغة العربية : ابن فارس ، تحقيق : د . عمر الطباع ، مكتبة المعارف – بيروت .

٣٦) الصحاح : الجوهرى ، دار إحياء التراث العربى – بيروت ط(١) ١٤١٩هـ =١٩٩٩م .

٣٧) صحيح مسلم بشرح النووى : تحقيق : عصام الصبابطى ، دار الحديث – القاهرة .

٣٨) الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدرى البصرى : د. عادل هادى العبيدى ، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ، ط(١) ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م .

٣٩) العربية والوظائف النحوية : د. ممدوح الرمالى ، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ، ١٩٩٦م .

٤٠) علم الأصوات : د. كمال بشر ، دار غريب– القاهرة .

٤١) علم الدلالة : د . أحمد مختار عمر ، عالم الكتب – القاهرة ، ط(٥) ١٨٩٨م .

٤٢) علم الدلالة العربى : د. فايز الداية ، دار الفكر – دمشق ، ط(١) ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م

٤٣) علم الدلالة والمعجم العربى : د. عبدالقادر أبو شريفة ، دار الفكر – عمان .

٤٤) علم اللغة مقدمة للقارئ العربى : د. محمود السعران ، دار الفكر العربى – القاهرة ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

٤٥) غريب الحديث : أبو عبيد القاسم بن سلام ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط(١) ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

٤٦) فقه اللغة وسر العربية : الثعالبى ، تحقيق : املين نسيب ، دار الجيل – بيروت ط(١) ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م .

٤٧) الفهرست : ابن النديم ، تحقيق : إبراهيم رمضان ، دار المعرفة – بيروت ط(٢) ١٤١٧هـ =١٩٩٧ م .

٤٨) في اللهجات العربية : د . إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ٢٠٠٣ م .

٤٩) القاموس المحيط : الفيروزآبادى ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط(١) ١٤١٩هـ =١٩٩٩م .

٥٠) الكتاب : سيبويه ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجى – القاهرة ، ١٤١٢هـ =١٩٩٢م .

٥١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الزمخشرى ، المطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية ، ١٣١٨هـ .

٥٢) لسان العرب : ابن منظور ، دار المعارف – القاهرة .

٥٣) اللغة بين العقل والمغامرة : د. مصطفى مندور منشأة المعارف – الإسكندرية ، ١٩٧٤م .

٥٤) لغة تميم ، دراسة تاريخية وصفية : د. ضاحي عبدالباقي ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية– القاهرة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م

٥٥) اللهجات العربية نشأة وتطورا : د. عبدالغفار حامد هلال ، مكتبة وهبة – القاهرة ط(٢)١٤١٤هـ = ١٩٩٣ م .

٥٦) اللهجات العربية في التراث : د. أحمد علم الجندى ، الدار العربية للكتاب – تونس ،١٩٧٨م .

٥٧) اللهجات في الكتاب لسيبويه ، أصواتا وبنية: د. صالحة راشد آل غنيم، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى – مكة المكرمة، ط(١) ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٥٨) مجالس ثعلب شرح وتحقيق عبدالسلام محمد هارون ، دار المعارف – القاهرة ، ط(٣) ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م .

٥٩) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها : ابن جنى ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط(١)١٤١٩هـ=١٩٩٨م .

٦٠) المدخل إلى علم اللغة : د . رمضان عبدالتواب ، الخانجى – القاهرة ، ١٩٨٠م .

٦١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى : د. محمود فهمى حجازى ، مكتبة الخانجى – القاهرة ،ط(٣) ١٤١٧هـ = ١٩٩٧ م .

٦٢) مسند الإمام أحمد : تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف – القاهرة ، ١٩٥٥م .

٦٣) مشكلة الهمزة العربية : د. رمضان عبدالتواب ، مكتبة الخانجى – القاهرة ،ط(١) ١٤١٧هـ =١٩٩٦م .

٦٤) معالم اللهجات العربية : د. عبدالحميد أبو سكين ، كلية اللغة العربية – القاهرة .

٦٥) معانى القرآن للأخفش (سعيد بن مسعدة) : تحقيق : د. عبدالأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب – بيروت ، ط(١) ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥ م .

٦٦) معانى القراءات : الأزهرى ، تحقيق : أحمد فريد المزيدى ، تقديم : د. فتحى عبدالرحمن حجازى ، منشورات محمد على بيضون –دار الكتب العلمية – بيروت ط(١) ١٤٢٠هـ =١٩٩٩م .

٦٧) معانى القرآن : الفراء ، تحقيق : أ.د صلاح عبدالعزيز السيد و د. محمد مصطفى الطيب ، ود. عبدالعزيز محمد فاخر ، دار السلام للطباعة والنشر ، ط(١) ١٤٣٤هـ =٢٠١٣ م .

٦٨) المغنى في توجيه القراءات العشر المتواترة : د. محمد سالم محيسن ، دار الجيل – بيروت ، ط(٢) ١٩٨٨م .

٦٩) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : تحقيق : ح الفاخورى ، دار الجيل – بيروت ، ط(٢) ١٤١٧هـ = ١٩٩٧ م .

٧٠) مفاتيح الغيب : الفخر الرازى ، المطبعة الحسينية المصرية .

٧١) المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهانى ، المطبعة الميمينة ، مصطفى البابى الحلبى – مصر .

٧٢) المنهاج في القواعد والإعراب : محمد الأنطاكى ، تحقيق : سمير إبراهيم بسيونى ، مكتبة جزيرة الورد – المنصورة ط(١) ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩ م .

٧٣) موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع : د. شعبان صلاح ، دار الثقافة العربية – القاهرة ،ط(٢) ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م .

٧٤) النشر في القراءات العشر : ابن الجزرى ، تقديم : على محمد الطباع ، خرج آياته : زكريا عميرات ، منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط (٢)١٤٢٣هـ =٢٠٠٢ م .

٧٥) النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحى ، طاهر أحمد الزاوى ، المكتبة الإسلامية – القاهرة ط (١) ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م.

الرسائل الجامعية

١- البحث اللغوى عند الأصوليين : د. محمد عادل خلف ، رسالة ماجتسير آداب المنيا ١٩٨٢م .

٢- البحث الدلالى عند ابن حزم الأندلسى : د. أحمد إبراهيم محمد على ، رسالة دكتوراه – جامعة المنيا ، ٢٠٠٠م .

المراجع الأجنبية

- The study of language , an introduction , G.yule , combridge university press , Britain , 1987 .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	١١١١
Research Summary	١١١٣
المقدمة:	١١١٥
التمهيد : ابن مجاهد وابن جنى	١١١٨
مستويات البحث	١١٢٢
المستوى الصوتى	١١٢٢
المستوى الصرفي	١١٦٣
المستوى النحوي	١١٨٩
المستوى الدلالى	١٢١٩
الخـــاتـــمـــة	١٢٣٦
المصادر والمراجع	١٢٣٩
فهرس الموضوعات	١٢٤٧

تم بحمد الله